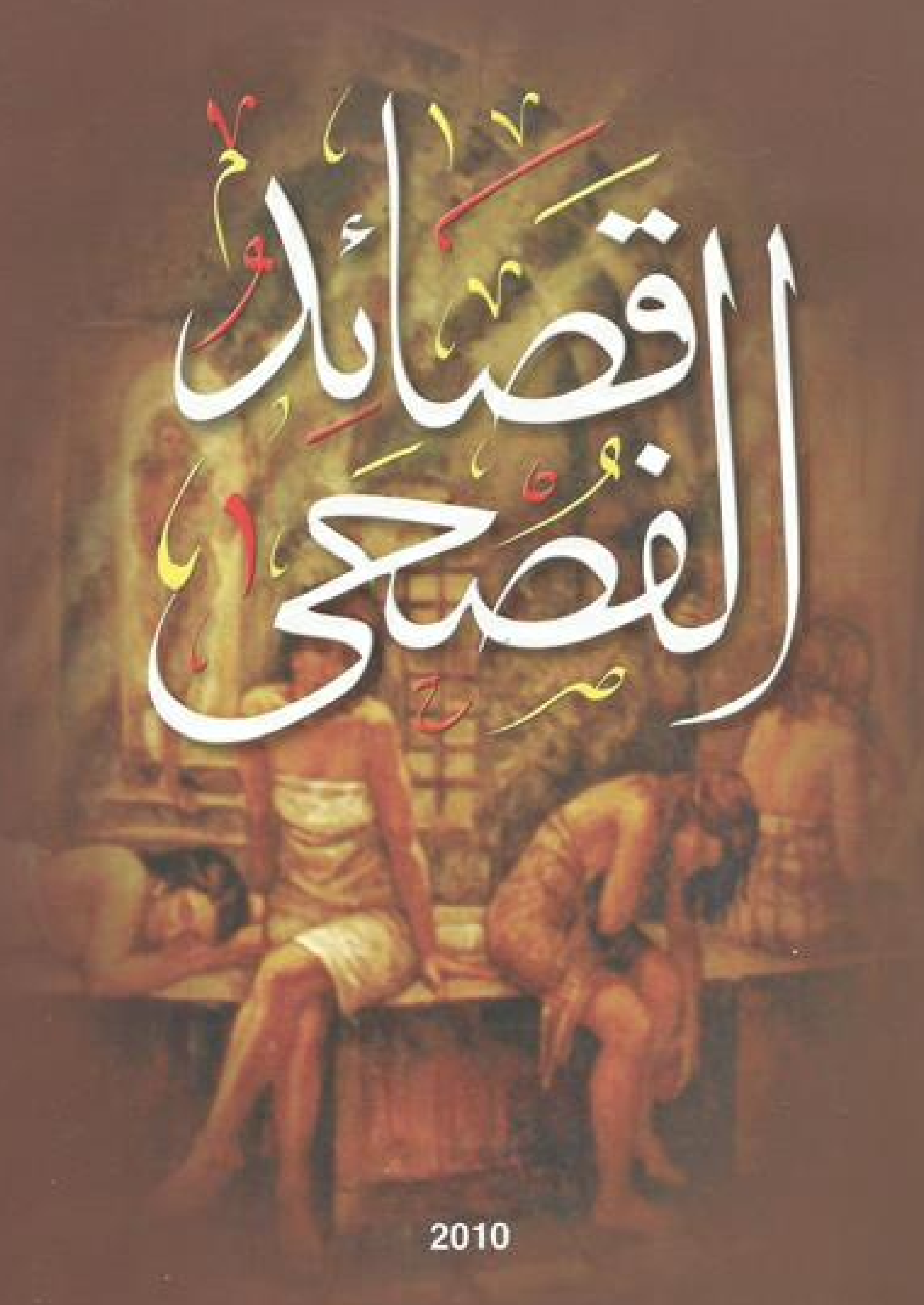
دفاتر ابن عبد الباقي



الدفتر الثامن

2010


قصائد الفصحى

اسم الكتاب : دفاتر ابن عبد الباقي .

الدفتر (الثامن) قصائد الفصحى .

المؤلف : سمير عبد الباقي .

الناشر : المؤلف .

رقم الإيداع : ٢٣٩٤- ٢٠١٠

الترقيم الدولي : 977-17-82347

لوحة الغلاف : د. فيروز سمير عبد الباقي .

التنسيق الداخلي و الغلاف تصميم : كامل جرافيك .

دفاتر ابن عبد الباقي



الدفتر الثامن

تأليف

سمير عبد الباقي

2010

مقدمة

ثلاث اشارات الى سمير عبد الباقى

...

اخى دائماً و ابدا
لا ازال اقرأ : اذا الموءودة سئلت
بأيذنب قتلت
شعرى انفاسى تحت التراب و يوم القيامة
(١٩٨٥/١/٢٥)

...

نَصر الموعد
فارس طبيب لا نفسانى
يقول لك ع اللى مش باين و اللى ما يروحش بالغسيل
عن العتاب بين السلام و الشجر
انسانى اصيل
ابيض سمرمر شاطف المرمر فى ميت سلسيل
باطح باط الاحباط
رجع لى الروح و نسانى تقليد الروح
(١٩٨٣/٩/٢٨)

...

لا انتهى من اشواقى
لاتنسى ان تسآل عنى بحق ما كان رواقى
(هو السجن حيث تموت الأغانى أغنى)
(رمضان ١٤٠٤)

فؤاد حداد

● قصائد اولى.

● ليالى من سجن٧٧ .

● رحيل المدن .

● قصائد غير شخصية .

● قصائد شخصية جدًا !! .

● احزان ناصرية من عام الرَدة .

قصائد اولی

غربة

بقلبي تعيش المعالم القديمه ..
مئذنة الجامع المهدمه الشرفات ..
المقبرة المهجورة عند الجسر
حاراتك المعفرَة ..
ساحاتك الطينية المتلاشية الطرقات

هجرت للمدائن البعيده ..
وقعت فى شباك السفائن المسافرة
خلف الطائر النارى والمدى الثلجى
صاحبت الرعب ولم ادري أني
كنت أخاف .. كطفل خواف
أموت كل ليله .. بلا صديق ..
ممزق الشغاف .. مفتح العينين .. عاريا .. ولا أحد
يسحب فوق وجهى الغطاء
أنا الذى امتلكت فيك الحرف والأسماء
أنا الذى أنشبت كفى المخضبة
بالقار والدماء
فى أعين السماء
حيث كانت تعانق الصباح شمسك الدافقة الحنان
الآن أسمع الثغاء والخوار فى فنادق المدينة ..

يسيل فوق بابك الخلفى مثل القئ
أحس اننى أدور فى مدارك المخمور
أدور لا أعود نحو نقطة البداية
خسرت كل شيئ ..
وأدركت خطاى نقطة النهاية
خسرت رعشة الإيمان والبكارة
ما أفدح الخسارة ..
حين يطل وجهك الجميل ملطخاً بالطين والعرق
يسقط حلم الليل والنهار
فى حمأة الشكوك والقلق ..
أخاف ..
أموت رعباً حين يسقط المساء ..
أخاف أن تذكرنى فى الليل .. لو أنام
أحلامك المجهضة ..
فأفقد فى لهيب غربتى ..
قدرتى على النسيان ..
تعوزنى ابتسامتى المريرة
فى اللحظة الأخيرة ..

●

الذى لا يأتى

فى مايو
يتجدد شجر التوت على ترعتنا .. يتمرد ..
يناغى الشمس ويتجرد ..
ينزل فى الماء .. ليسكر
وتصد عنه حرارة الشمس (الحقيقية)
كل أنواع (الشماسي)
ليتوجوه الشاعر الأول
والمخول حين يحين حين القوت
يأخذ بالنواصى..
بنسيم الرقة يتعطر ..
يفرد أغصان الخضرة يحتضن السماء الزرقة
يدعو كل عصافير الدورى إليه لترقص وتغرد
فى مايو ..
كل ما فى قريتى فرحاً يزغرد ..
....
حقلنا ساحتنا ..
تحمل الأطفال والأحزانِ والضحك وتمضى ..
تحمل الصبر وتمضى ..
تحمل الحرمان والقحط وتمضى ..
من صباح الله حتى تختفى الشمس .. وتهوى فى الظلام
مثلما تفعل فى كل مساء تهوى وترقد ..
هكذا قريتنا تعرف مايو ..
من زمان ..

فلماذا منذ أن غادرتنا ..
يهبط الخوف ويجفونا المنام ..
نحن في القرية يا صاحب الأحلام ..
رغم الليل .. ما عدنا ننام ..
منذ مات القمر الفضيّ
من عام لعام ..
يرقد الأطفال رعباً في حجور الأمهات
...
ربما شيء بقلب الطين مات
ربما شئ بقلبي قد تغير
أو تبخر ..
ربما شئ بأعماق البشر ...
قد تكسر
أو تلاشى
...
لا تسلني ..
فأنا أضعف أن أُسأل .. أجهل أن أعرف شيئاً
جاء مايو ..
مثلما يأتي إلينا كل عام
أيقظ التوت على ترعتنا
لاعب الأطفال في ساحتنا ..
دس للفتيات زهرات الغرام ..

وكسى القمح ثياباً من زمرد ..
لا تسلني .. فأنا أضعف أن أسأل ..
أجهل أن أعرف شيئاً
لم وحدى فى خضم الفرحة الكبرى بمايو
وسط بحر الأخضر الزاهى ..
حين شاهدت بعينىَ رأسَ المصروع عصفور البرارى
خلف جدران من الخوف ..
من الأحزان - يبكى - شُق قلبي فبكيت .

(١٩٥٩)

●

قطرة الندى

قطرة من الندى على زجاج غرفتى ..
كم جابت الفضاء فى مسيرها ..
كم شاهدت قرى ..
كم غيمة على جناحها تخللت غصون ..
كم هبة من النسيم داعبتها ..
كم موجة من البحار قبلتها ..
كم ذرة من المياه صاحبتها ..
كم ذرة لكى تكون ..
لكى تسيل فى الصباح مجهدة ..
تقبل الزجاج فى سكون ..
وبعدها .. تواصل الرحيل ثانيا ..
يسوقها الشروق فى خطاه ..
لتطفئ اشتياق بذرة يشوقها الحنين للحياه ..
لتهزم الهجير ..
ترطب النسيم حول جدول صغير ..
كى يستريح فى الظلال متعب من العمل ..
وتنتشى لأنها بقمة الحياه ..
يسوقها الغروب فى خطاه ..
لترسم الجمال فوق صفحة الأفق..
وبعدها .. تواصل الرحيل لا تمل..

تلاعب القمر..
تداعب النجوم والغصون والشجر..
تبارك الحياة أينما تكون..
لكى تسيل فى الصباح مجهده..
تقبل الزجاج فى سكون..
وتغسل الأحزان عن فؤادى المشوق للمطر..

●

الاغنية

يا أخت فى قلوبنا عصفورة تغنى ..
ترافق الصباح فى شروقه وتصحب المساء ..
لتبذر الرجاء فى دروبنا الحزينة ..
يا أخت فى قلوبنا ..
أمنية أخيرة .. دفينة ..

يا أخت فى غد سيرجع الحبيب ..
وتسمع النجوم صوته ينادى ..
يقول عند بابنا ..
يا أم .. إفتحى ..
طوّفت كل وادى ..
وتهت فى الجبال والبوادى ..
وجرّحت أقدامى الصخور ..
والليل .. والعذاب والقلق ..
ولوعة الوحيد فى مفارق الطرق ..
الليل لم يكن به صديق ..
ويسمة الأمان لم ينر ضياؤها الطريق ..
أماه ..
يا زغرودة الحياة ..
يا جنة المشردين والعراة ..
أماه إصفحى ..

أشتاق للأمان تحت ظلك الرطيب ..
أماه إفتحى ..
فابنك الحبيب ..
قد عاد بعد رحلة حصادها الألم ..
وطلعها الجراح دونما ندم ..
فلم تزل عيونه تستروح الصباح ..
تعيش فى أحلامه الدفينة ..
أغنية قديمة .. حزينة ..!

●

قصيدة أولى في حب مصر

إليك وقلبى بين الجمـوع   يزغرد يا نجمتى الهاديـة

إليك واسمك فى أضلعى   وفى القلب أنفاسك السارية

لأنت الحياة وأنت الهنـاء   أيا مصر أنت الرؤى الآتيـة

إليك تجئ أساطيرنا   وأحلام أطفالنا الزاهيـة

تعيد الحياة إلى دربنا   لتنشد فى فرح أغنية

فيخضر من طلها قفرنا   وتحتشد الحقب الخاوية

وتوقد شمساً على بابنا   تضئ صباحا وفى الأمسيـة

فيؤمن من يستريب بنا   وتبتسم الأعين الباكية

بلادى وإني لها عاشق   ومن يكره الدرة الغالية

تحب الجميع ويهوى الجميع   شذى عطر جناتها المعطية

فكم لثمت شفتى وردها   وكم ملأت بالرؤى عينيا

وكم لفَتى بالمنى ثوبها وكم نال من تمرها كفيا
وكم عب من نيلها خاطرى ولم تك أمواجه كافية
لتطفئ شوقى لخضر الربوع وللسير فى الظلة الحانية
وللبيت للأم للساهرين تهدهدهم قصة موحية
وللغارسين نبات الحقول بتربة صحرائها القاسية
وللعاصرين ضلوع الصخور لتمشى الحياة إلى البادية
وللفاتحين قلوب الجبال لتخرج خيراتها الباقية
وللزاحفين وراء جمال كى تبق راياتنا عالية
بلادى وقلبى طفل غرير وانت له أمه الحانية
بلادى وقلبى طير أسير وانت جناحيه والرابية
أنا لست من للهوى ينكر ولست بمعشوقة قاسية
فكيف يميل فؤادى المحب لغير حبيبة أحلاميا

إن رُمت يامصر حلو الكلام   لسانى سيوف الحجى الماضية
فإن كان وقت نزال العدو   تفجر قلبى قوى عاتية
وحرًا أكون كما تبتغين   وأنىَ تكون لك التضحية

(الدورة الزراعية ١٩٦٥)

رسائل مجهولة العنوان

- ١ -

أنا في بحار الهوى فرحتان
وانشودتان
على شاطئ من غموض وسحر
أنا أغنيات حنين وعطر
أغني وانشد للعاشقين .. سواي
لكل الأحبة والمتعبين وأنسى نصيبي من الابتسامة
.. وليست تبين علامة
على الدرب أفقد ظل الحبيب
فيجتر قلبي الوحيد النشيد
تجن مدينتنا إذ تضل لهول المسافة
بين الخرافة والأمنيات
تعبت غناء وشدوا .. وما كنت ذاك الصبي السعيد
بريئ المشاعر والأمسيات
فحبك خلّف دربي فقيرا .. وقلبي كسيرا
وانت عيونك لؤلؤتان
وفيروزتان ..
وحلمٌ عزيز المنال وشط بعيد
يخايلني خلف ليل البراءة وهم جديد
ولكن خطوي صار ثقيلاً

وقلبى حزين الرؤى جرّحته الهموم
يروم المحال ويبغى احتراقاً
فيلحق بالبحر فى مقلتيك
وخوف هبوب العواصف
ينشد بر السلامة
وأنت بحار وعاصفة وانت سفينة
دعينى لهمى فإنى ألفت الرمال
رضيت السكينة فى ظل خوفى
أغوص بصمت الشواطئ والأمسيات الحزينة
وروحى تذوب اشتياقاً لبدء الرحيل
فمدى يديك إذا ما أمنت لضعفى
فقد تبدأ اليوم منك القيامة !!

- ٢ -

عبرتِ إلىّ بحار الظلام
وعانقتنى
كموج من الضوء والزهر والذكريات القديمة
تفجرت فى خاطرى
كترنيمة فى مساء القرى والنجوع البعيدة
ولحظة صمت نقيه

فأيقظتنى مثل شمس جديدة
عبرتَ إلىَ سياج الليالى البليدة
أشعلت قلباً شقياً خبت جذوة العشق فيه
ولا مست حلماً عصياً تبلد تحت ركام السنين
مزقت عنه قناع التبلد والإدعاء
فغرَد بين يديك فتياً
كطفل
كزهرة فل وليدة
كقطرة ضوء سعيدة
كأول بيت من الشعر تبعث فيه القصيدة !

●

.... لو يضحك الأطفال ؟!

يعود يونيو مرة أخرى إلينا ..
تسبقه الرياح والأنواء ..
يحمل فى كفيْه ثوب إخوتى ..
ممزقاً تصبغه الدماء ..!

يسحب ظله الرهيب فى المساء
ممزق الفؤاد مثقل الخطى ..
يسقط فوق ركبتيه ضارعا ..
يدق منهكاً على الأبواب والنوافذ
يود لو يعرفه أحد ..
وان يحدثه ..
يود لو يبدأه الأطفال بالكلام
فيسقطون عن كاهله آثامه ودنسه ..

تسلق الجدران والكوى ..
يراقب الأفنية الخالية المنفعلة
ويلعق الفؤوس والمناقر المعطلة
يود لو تمنحه الأمان ..
للحظة قصيرة ..
يحكى لها خلالها ..

حكاية الذى أودعه الوصية الأخيرة ..
وهو يموت وحده على الرمال!!

يا أيها الغريب ما الذى تريد؟
ليس هنا من ينتظرك ..
الكل عنده ما يشغله ..
ضيعت فى الصحراء ما ضيعت من أيامنا المنتصرة ..
أجهضت ما أجهضت من أحلامنا السعيدة ..
غررت بالفرسان فى المسالك البعيدة ..
وفى البحار العكرة ..
يا شهرنا الحزين عد إلى متاهة الزمان ..
لا تغسل الدماء عن يديك ..
اذهب إلى الأسواق والحقول والمقاهى ..
فقد تجد هناك من يسمع لك ..
من يستحق أن يرى ثياب أخوتى الممزقة ..
فقد يفيق من مرارة العبارة المنمقة ..
واللحظة المزوقة ..
أما هنا فليس فى بيوتنا أحد ..
ليس هنا أحد ..
ليس هنا أحد ..
سوى صغار يحلمون بالملابس الجديدة ..
ينتظرون لحظة اخضرار أرضنا المحترقة ..

١٩٦٨

الصديق وليلة الضياع في الأسواق

نحمل فى قلوبنا .. آثامنا ..
أحلامنا القديمة.!
....
....
متاعنا القليل لم يعد لنا
أمام أعين الجنود ...
يباع عند كل منحنى ... بلا عقود .!
....
....
يا سندباد
إياك ان تعود ..
فالموت فى الجزائر البعيدة ...
مازال يلهب الخيال ..
ويعد الصغار بالأميرة السعيدة ..
....
....
فوق رموش قريتى ..
أطفالنا ..
تشيب فى نهار ..
فى قبضة الفراغ .. والسأم ..
وفى دفاتر التجار ..
....

وما نكاد نبدأ الحديث ..
حتى يشوقنا الحنين للألم ...
ويخرس الكلام ... فى عيوننا الشجن ..
والإنتظار ...
....
....
خلعت معطفى لعابر فقير ..
فباعه بدرهمين ..
....
....
طرقت باب صاحبى ..
فلم يجب أحد
....
....
وضعت كل ما معى على موائد القمار ..
تحلق الصحاب باسمين لحظه ..
وسار كل واحد إلى طريق ...
....
بكيت ...

١٩٦٠

المقبرة

الصدق يحتضر ..
والكذب لف حولنا حصاره ..
وراح ينثر الحجارة ..
والشوك فى دروبنا، ويزرع المرارة ...

يا أخت كم تحطمت أمام عينى الصور ..
وكم من النجوم عندما لمستها فإذ بها تراب ..
وميضها المزيف البريق ..
قد أطفأته زحمة الحياة ..
ألقت به على جوانب الطريق ..

مدينتى أغنية وحشية النغم ..
يشدو بها بحارة سكارى ..
يعربدون فى سفينة بلا شراع ..
ألقت بها الرياح فى متاهة الألم ..
تدور حول نفسها بلا انقطاع ..
دوامة بلا قرار ..
لا ليل .. لا نهار ..
الكذب أطفأ المنارة والإثم والدعارة ..
تلفعت بثوب ميتين ..
تحاول العبور فى ظلامنا الحزين ..
لتحرق البخور عند شاهد كئيب ..

والصدق حين مات ..
ألقوه عند أسفل الجدار ..
وأنشد النفاق عند قبره صلاته الأخيرة ..
لم يمش فى جنازه أحد ..
لم تسمع الجبال غير آهة مريرة ..
تحشرجت بها قلوبنا الصغيرة ..

١٩٦٣

●

رسالة

عفوك ياحبيبتى للهجتى الحزينة ..
فهذه المدينة ..
تدق فوق اضلعى أقدامها اللعينة ..
ونحن حينما يسحقنا الضياع ..
ونمضغ الفراغ والهزيمة ..
من قسوة الحياه نحتمى .. بذكرياتنا القديمة
البيت والصغار ..
وأمنا العجوز والقمر ..
والنار والمطر ..
والقصة العتيقة ..
عن رحلة الشطار فى القفار ..
وعودة الملاح من غياهب البحار .. للديار ..
عفوك يا حبيبتى ..
فلم أعد أعرف كيف أنتقى الكلام ..
من وعوده الكثيرة ..
فالموج أغرق السفينة ..
وبين أضلعى يصبح ألف سندباد ..
وقد تكون هذه رسالتى الأخيرة ..
فصاحبى القديم قد هلك ..
ولست أدرى كيف أنقذ الأميرة الأسيرة ..

١٩٦٥

فى سوق الكلمات

عبر دروب العودة قادت خطوتنا الفرحة ..
نجرى .. نتسابق .. نتراشق بالألفاظ النشوانة ..
نرشق فوق الأبواب أغانينا الفرحانة
فلقد عدنا منهزمين ..
مزهوين بعودتنا ..
نحمل ذكرى رحلتنا حلما فوق رموش العين
عدنا مشتاقين لنشرب نخب هزيمتنا ..

منذ ذهبنا .. حاربنا .. لم نهدأ يوما ..
ورفعنا راية دون كيشوت ..
لم نحلم يوما أن نستسلم ..
فمضينا نبحث عن أجمل ما فى الدنيا ..
ونفتش عما لم تره العين ..
أعطينا زاد الرحلة للعشاق الأيتام ..
رحنا دون طعام ..
سرقتنا الأحلام فلم نجد الوقت لنتألم ..
أغنتنا القبلات عن الكلمات .. فلم نتكلم ..
ولكنا كذباً كنّا نصف العالم ..
كنا تواقين طموحين ..
نذهب .. حتى لو كنا يوم ذهبنا ..
نعرف كيف رجعنا اليوم ..

يا من يأخذ عشر سنين من عمرينا ..
ويعيد لكفينا رعشة أول مرة ..
ولشفتينا رجفة قبلتنا الأولى ..
هزمتنا الأحلام الوردية والخضراء ..
فلم تجرؤ أن تتحقق ..
قطع علينا الوهم طريق الحلم ..
ألقانا فى جب العادة .. قتل لدينا ألف سعادة ..
والناس تمر ولا تسمع
فنبيع كلاماً بكلام ..
من سيبيع شتاء بربيع ..
أو يستبدل وهم شيوخ بخيال رضيع
حين نظرنا الواحد منّا فى عين الآخر ..
كانت عينيه تطل عليه ..
ألف سؤال تبحث عن ألف جواب ..
فر الأعداء المنتصرون ..
وبقينا نرقص نحن الإثنين أمام الأبواب ..
أقسم يا أصحاب .. أنّا قلنا الصدق .. ومع ذلك ..
تهادى القمر ولم ينشق ..
ومثل الأمس ..
ضحكت للدنيا رغم بكاء الطفلين .. الشمس ..!

١٩٦٠

الأفيال والسياسة

لو أن لى جناح نسر ..
أعلو به أطير للسماء ..
أفتش الفضاء عن حدائق النجوم ..
حتى إذا دخلتها ..
دخول فارس الزمان ..
رجعت ياحبيبتى .. وفى يدى ثلاث ..
أعطيك نجمة لطفلنا ..
فتشبكينها على جبينه الوضئ ..
لكى تحدثيه كل يوم ..
بأنه فى سالف الأوان ..
قد كان يا ما كان ..
فى عصرنا فرسان ..
تعلو بهم أجنحة الاصرار للسماء ..

ونجمتين يا حبيبتى لحبنا ..
كى تذكريه دائما أبدا ..
وتهمسين أبدا ..
بأنه .. لأنه يحبنى سوف يعود غدا ..
وأنه فى عصرنا العجيب ..
حيث القرود تسكن المنازل ..
ويشنق الإنسان فوق أفرع الشجر ..

وفى المكاتب العريضة المكيفة ..
تدرب الأفيال أن تسير فى كياسة ..
وحيث فى الشوارع المرهقة الرجال ..
تطارَد السياسة ..
ستنظرين أنت ياحبيبتى لنجمتى ..
وتهمسين دائما وأبدا .. قد جاء لى بها ..
لأنه لا بد ان يكون فى زماننا فرسان ..
تعلو بهم أجنحة الإصرار للسماء ..
ليرجعوا بالنجم للأحبة ..
كى لا يقال أنه بعصرنا قد قتل الوفاء ..
ومزقته بينها القرود والأفيال فى كياسة ..
وهى تطارد السياسة ..
فى زحمة الشوارع المرهقه الرجال ..

١٩٦٧

حدوتة

يوما سمعت جدتى تقول ..
الرّك ع النيات يا حسـن !
سلامة الضمير .. صحة البدن ..
وغاية الغنى» ..
من يومها ونيتى سليمة ..
لكننّي فقير ..
ورغم ذاك يا أحبتى معذب الضمير ..
كأنى شربت ألف كأس دم ..
تعوزنى السكينة ..
يقتلنى الندم
من لى بجدتـى ..
تشرح لى السبب ..!

١٩٦٥

●

لومومبا المسيح الاسود

○

لم يبارك أمه يوما إله ..
غير ذاك الساحر الساكن خلف الرابية ..
لم يفض نور على افريقيا يوم ولد ..
لا .. ولا ليل الأساطير ارتعد ..
لم تناجى أمه فى المهد أوهام الرؤى ..
لا ... ولا كانت تناديه الحياة ..
...
ربما الأحزان فى وجه أبيه ..
قتلت فيه إبتسامة ..
عندما جاءت عجوز تحمل البشرى إليه ..
لم يزد أن هز رأسه ..
ثم أغفى مطرقا يمضغ يأسه ..
فتولت عنه تجرى ..
ومضت تنثر فى الحارة فرحة ..
بيد أن الخبر المفرح قد راح يموت ..
فى عذابات البيوت ..!
...
وتمطّى الليل فى آفاق افريقيا كسولا ..
ثم نام ..
لم تؤرقه خيالات النيام ..
أو جراحات العبيد النازفة لا .. ولم تزعجه صيحات الوليد ..
عندما انسابت إليه من بعيد ..

بل تمطى وارتمى فى ثوبه الأصفر من قيح ودم ..
إرتمى يكتم أنفاس الأمل ..
مطمئنا هادئا لم يرتعد ..
بل ولم يفتح عيونه ..
ليل أفريقيا الحزين الأبدى ..
ظل يحبو فى العفونة ..
بينما راحت تموت ..
صيحة الطفل الوليد .. فى عذابات البيوت ..!

كانت القرية فى أحضان غابة ..
تملأ الأفق لها ألف ذراع ..
كل ما فيها قديم .. أزلى وغريب ..
وهنا ..
فى ظلها البكر الرطيب ..
حيث أعطى الطين أنفاس الحياه ..
كان قلب يتفتح ..
...
طفلنا يجرى على شطئان جدول ..
يصنع الأغصان رمحا .. وسفينة ..
ويسوى طينه الرطب عرائس ..
فإذا الليل على القرية أقبل ..
طفلنا يصنع أحلاما حزينة ..
ويصيد القمر الفضى من قاع بحيرة ..
وأقاصيص عجوز ساحرة ..

تجمع الأطفال فى ساحة بيت مقفرة ..
فى الليالى المقمرة ..
تسمع الليل وأطفال القرى ألف حكاية ..
عن غلام أسمر الجبهة مثله ..
يمضغ الأحزان مثله ذات يوم أخذوه ..
ذات يوم شائه الوجه نحاسى الملامح ..
كى يصيد الخبز من أنياب وحش ..
رابض ينهش أحشاء المدينة ..

كان عملاقا قويا ..
طفلنا أصبح فى البيت صبيا ..
صار عملاقا قويا ..
تملأ الأحلام قلبه ..
أدفأ القرية حبه ..
شق فى الغابة وسط الحزن للفرحة دربا ..
ثم .. راح ..
ذات يوم طلعت شمس الصباح ..
مثلما تشرق يوماً بعد يوما ..
لم نجده بيننا ..
لم نعد من يومها نسمع صوتا فى المساء .. غير صوته ..
وتقول الآلهه ..
أنه فى الغابة العذراء يمضى يا أحبه ..
يوقظ الأحلام فى قلب العذارى ..
يسكب الراحه فى جسم الحيارى المتعبين ..

ويناد ى كل من يعرف دربه ..
إن للمقهور والمظلوم والجائع ربه ..

كان قلب يتفتح ..
طفلنا ينمو ويمضى ..
مسلما أيامه الخضراء أنياب المدينة ..
حاملا فى قلبه حبا صبيا ..
وأغانى مرهقات وحزينة ..
حاملا فى جيبه كسرة خبز ووريقات قديمة ..
وأمانى صديق لم يره ..
كان قلب يتفتح ..
عانق الأحزان فى كل طريق ..
عرف الجوع وغنى لجموع بشرية ..
تلعق الذل على مذبح معبد ..
لاله المدنيَة ..
أبيض الوجه الرهيب .. ذى العيون البربرية ..
كان قلب يتفتح ..
ليرى بيض الوجوه ..
يملكون كل شئ ..
وعلى أنيابهم آثار دم ..
فى بيوت من عظام وجماجم ومناجم ..
تشرب الدم وتقتات الألم ..
ورأى خير بلاده ..
موثقا فوق البواخر ..

حيث يمضى تحت سمع الشمس للأرض الغريبة ..
لم يعد فى الأرض زهر يترعرع ..
مع ما يزرعه الأبيض فيها من خراب ..
وحراب ..
تقتل الخير- وليل يتجمد ..

ايه يا أحضان غاباتى الرطيبة ..
حيث أعطى الطين أنفاس الحياة ..
ذات مرة ..
هل ستنمو زهرة بين القبور ..
هل ستعلو الأغنيات ..
مرة أخرى وتندمل الجراح ..
ويعود الحقل يعطى ..
ويعود القلب ينبض ..
وينادى للمسرة ..
هل سيمشى مرة أخرى ويأتى ..
ذلك المقتول فى طرف المدينة .. ألف مرة ..
إيه يا غابات افريقيا الحبيبة ..
مرة أخرى أيعطى طينك الرطب .. تباشير الحياه ..

○

لم يعد فى قلب لومومبا مكان للألم ..
فمضى يُحطم أنياب المدينة ..
بأغان مرهقات وحزينة ..
ووريقات قديمة ..
يبذر الحب بأعماق الربوع ..
ويغنى للجموع ..
وينادى للعرايا ..
« اتبعونى » ..!
ويغنى للصبايا ولأطفال الحوارى ..
« صدقونى .. »
.. الذى يقتل يحيا
.. من يجوع اليوم فى غدنا سيشبع ..
.. من سيمضى سوف يرجع ..!

ومضى يوم قصير رقصت فيه العذارى ..
غسلت بالطيب أقدام المسيح الأسود ..
ومضى الشعب وراء السيد ..
ها هو ابن الرب يستقبل داره ..
لم يعد غير إله واحد فى أرضنا » ..
ربنا ..
يا شعبنا ..
فلتكن إرادتك ..
مثلما تود أن تكون ..
خبزنا كفافنا ..

أعطنا واحمنا ..
أنت رب الكادحين ، ..!
واله المتعبين الطيبين ..

هزت الثورة أرجاء المدينة ..
فجّرت فى قلبها المظلم أحقاداً دفينة ..
جمع الخوف قلوب الحاقدين ..
تحت أقدام الاله الأبيض ..
وعلى ضوء شموع خابية ..
فى حنايا أقبية ..
وسط همسات الشفاه الغضة ..
وارتعاشات الأكف البضة ..
إنطوى الليل على سر يهوذا ..!
حاملا فى صدره المغلق كيس الفضة ..

أشرق الصبح على سفح الجبل ..
وغناء الشعب فى الوادى صلاة وأمل ..
الجماهير التى كانت تعانى ..
الرجال السود من أبناء كاتنجا وعمال الموانى ..
والرعاة السمر سادات السهول ..
ونساء القرية المرضى ..
وعمال المحاجر ..
وزنوج الغابة العذراء صناع الخناجر ..

كلهم جاءوا لأطراف المدينة ..
كلهم جاءوا له من كل درب ..
يصنعون السعف الأخضر إكليلا لبابه ..
ويغنون له لحن شبابه ..
.. جميلة هى الحياه ..
وصعبة وقاسية ..
أدخلوا من بابها الضيق يا صناعها ..
طوبى لكم يا كادحين ..
ستحطمون قيودها ..
طوبى لكم يا صامدين ..
فستصنعون نعيمها ..
طوبى لكم يا حائرين ..
فستعرفون طريقها ..
طوبى لكم يا جائعين ..
فستملكون دقيقها ..
طوبى لكم يا معدمين ..
فهى التى ترثونها ..
طوبى لصناع السلام الوادعين ..

...

أنا ذاهب يا اخوتى لأبى غدا ..
لأبى الإله ..
للشعب ..
يعطينى الحياه ..
فغدا تتم المعجزة ..!

○

وكان ليل ..
وأتى يوم كئيب ..
حجب الشمس بكفيه الخضيبة ..
الرهيبة ..
وارتمى الصبح على عشب المراعى .. باكيا
والأفاعى ..
رقصت جذلى على باب المدينة ..
الحزينة ..
وارتمى ظل الصليب يتلوى فى ألم ..
الحيارى ..
الثكالى ..
الرجال المتعبون ..
العرايا الجائعون ..
فى قرى الكونغو الحزين ..
حبيبات العرق ..
طبول الحرب فى أعماق غابة ..
أغانى العاشقين ..
ظلال الموز فى ماء الجداول ..
جذور العشب فى الطين المشبعَ ..
وبكا الأطفال فى الأكواخ أحاديث النساء ..
عند أبواب المنازل ..
وزئير السبع والأفيال عند النبع أو خلف التلال ..

وصياح الطير فى شم الجبال ..
عندما جاء المساء ..
لفها صمت رهيب وحزين ..
كل ما فى الأرض يرنو للسماء ..
صامتا يرقب من فوق الصليب ..
إبن إفريقيا الحبيب ..
قبلته الشمس فى جبهته السمرا ..
وغابت .. فى الأفق ..

●

قسم

نقسم بالأسرار العلوية
بالماء والنار
وبالأسماء القدسية
أن نهرق ماء محابرنا فوق الأوراق
شعرا يحيا فى قلب الدهماء إلى الأبد
أن نصنع من أجساد الفلاحين
وأرواح الجند
معابر للمجد ..
لتروج الأسواق
ولينتعش التجار ..
وأصحاب الحرف اليدوية ..

(١٩٦٨)

ندم

لو أننى زرعت فى صباى شجرة
رويتها بدمعَى الذى سفحته على الرمال
لكنت حينما قتلت
وطوح الأصحاب جثتى على الجبال
وجدت من يرتاح فى الظهيرة
فى ايكتى الظليلة
وفى اسًى يذكرنى
« يا ألف رحمة عليه .. »!

لو اننى صنعت دمية لطفلة صغيرة
ومن سوالفى التى كانت غزيرة
جملتها بالشعر والضفيرة
لكنت حينما انكرنى الصحاب
وخلفوا جثتى التى مزقها الذئاب
هناك فى الصحراء ..
وجدت من يقول فى المدينة ..
قد عاش ها هنا فتى
أسعد ذات يوم طفلة حزينة ..

ذات ليلة من يونيو ..

وسط غيوم الأحزان ..
خرج الشعب إلى الشارع ..
لينجز عملا .. ما كان لينجزه غيره ..

- كى لا ننسى ..
لن نتناسى ..
لن نجلس فى الأركان السوداء ..
كى نمضغ فى يأس أحزان سواحل سيناء ..

- لا ..

- كى لا ننسى ..
لن نتناسى ..
الآن فقط لا بعد الآن
نفتح صفحات الماضى والحاضر والمستقبل ..
ننظر بعيون الصدق إلى أعماق النفس ..

- فبكل طريق صاعد .. يحتاج الإنسان لوقفة ..
كى يلتقط الأنفاس ..
فى أطراف أصابعه رجفة ..
ليشرب جرعة ماء ..

ليتذكر كل الأسماء ..
وليأكل قطعة خبز ..
ثم ..
ليستأنف خطوا أكثر إصرارا وصمودا للشمس!
حتى لا يطفئها الحزن القاتل ..
تعصر فى صمت قاس ومرير ..
قلوب الناس البسطاء ..

- الحيرة حبلى بالشك ..
- الشك وليد الظلمة ..
- الظلمة شبح يحمل فى الأحشاء ..
اليأس وفقدان يقين القلب ..
وأفاع صفراء رهيبة ..
تزحف كى تلتهم عيون الأطفال..

- وحين تغيب الكلمات ..
كلمات الأمل المشرق .. كلماتك ..
- يا من فجّرت ينابيع الاصرار ..
- حين تغيب الكلمات ..
كلمات الأمل المشرق .. كلماتك..
-نحس العالم فى صمتك أضيق من أن يسع الأنفاس ..
-أعجز من أن يلد الليل نهارا ..
- تفيض دموع العين ..
ننشد فيها الراحة والسلوى ..
فتعود تجف ولا نجد السلوى ..

- ندور نظل ندور بلا جدوى ..

- فى قريتنا
كانت نظرات الأطفال حزينة ..
وبكت أمى ..
كى تسكت فى أضلعها نارا صخَابة ..
تعرَت كل الأشجار ..
من أوراق ما كادت تزهر حتى ماتت ..
-خنقتها فى صمت دروب القرية ..
فى الليل .. أفاع .. !!

- فى شارعنا
أسقط من فوق الجدران ضياء الكلمات ..
ومشى مزهوا وفخورا ..
روح من أعماق الظلمة .. كالأفعى
يرسم فوق الجبهة آلاما مكذوبة
وعلى مكتبه .. راح يدندن اغنية شامتة الأنغام ..

فى الشارع غنى الأفعى ..
فى الحارة أقسم أن الحق لديه ..
فى القهوة أقسم أنىَ جالسته ..
وهو يصعد فى الجو الزفرات كذوبة ..

- كانت لعبته الكلمات اليائسة الملساء -
- ومضى يخرج من جعبته الغجرية آلاف القبضات -

.. ننتظر وننظر للآفاق
.. ننتظر الكلمات .. كلماتك
يا من فجرت ينابيع الإصرار ..

- هل ننساها ..
- هل نترك لحظات الضعف بدعوى أن نتقدم

- لا ..
- لا ..
فالآلام ..
حين تكون الآلام .. أكبر من قدرة فرد واحد ..
لا يصبح من حقك أن تنساها ..
فهى ضمير الشعب،،
لهيب الشوق لأيام أفضل ..
- الآلام الصادقة النبرة .. تلد الأحلام الخضراء ..

- فلننسى ..
- لا .. لن ننساها

- لن أنسى دمعة أمى ..
صرختها أن أنزل للشارع ..
- لن أنسى
كيف الإصرار يقود خطى الشبان ..

- لن أنسى كيف انفجر الاعصار ..
-لن أنسى أنفاس الحارات الضيقة الرطبة ...
تغسل عن قلبى الأحزان ..
وهدير أناس لا أعرفهم يصرخ بى .. إنضم إلينا ..
قل معنا .. لا ياناصر ..
- لا .. ياناصر ..
-لا يا ناصر ..

- لن أنسى عينيه ..
والنظرة فيها تحتضن الأيام الحلوة والمرة ..
- لن أنسى حين احتضن الشعب ..
فتلقاه الشعب على صدره..
- كانت كلمات الناس بنادق ..
-قبضات الأيدى المعروقة كانت للنصر بيارق ..
- عبر قرون الظلمة
كانت خطوات الشعب منارات تشرق ..

- جئنا من كل مكان ..
-لا نذكر من أين أتينا ..
- لا نذكر ماذا غنينا ..

-لا كلمات قلناها كانت كلمات ..
أو ألحان غنيناها .. كانت أغنيات..

- خلفنا فى الحقل « المحراث » !
لا أرض لنا إن لم يرجع ..

- خلفنا أبواب المصنع مغلقة خرساء
لا نيران ستوقد فى الأفران ..
إن لم يرجع ..
- خلفنا فى البيت الأولاد
فأتوا من درب آخر معنا ..
لا أولاد لنا ..
لا بيت لنا .. ما لم يسمع ..

- أغنيات لم تكتب لتغنى ..
ساعات أقوى من أن تنسى ..
- لن ننسى
- كيف ازدهرت بخطانا ... بدمانا شجرة .
فى أرض كادت أن تجدب ..
- لن ننسى ..
- كيف من الأيام المرّة .. تشرق شمس أخرى لا تغرب ..
كيف من الآلام ..
إنبثقت فى القلب الأحلام المنتصرة ..

- لهذا يبغى شيطان الظلمة أن ننسى ..
ليلتنا الكبرى ..
كى يبقى فى كل طريق وحده ..

ينفث من أحشاء الظلمة همسات تنساب وتفرخ ..
لتعيد الشعب لجدران العجز ..
فى وقت تُخلق فيه القدرة أن يفعل ..

« ماذا بعد ...؟ ألهذا كنا نلهث خلف الكلمات ..
ما جدواها للأولاد وللمستقبل ..
- الشعب صبور ما العجلة ..
ما كان له فى ذاك الأمر .. وله حكمة ..
فبقدر غطائك تتمدد .. ! ..
- قد كان أولى بالضعيف الانتظار ..
لأن معرفة الحقيقة .. والرضا بها .. انتصار .!

هذى الأفاعى الزاحفات مع الظلام ..
النائحات بصوتها المبحوح فى كهف الندم ..
العازفات على أناشيد الألم ..
الباذرات الشوك فى درب التقدم ..
- كم تتقن فن الكلمات ..
تبث السم بكل طعام وشراب ..
وتفرق شمل الأحباب ..
بكلام ظاهره الحرص وباطنه هول وعذاب
- فلتخرسوها ..
فى الطريق وفى البيوت وفى المقاهى والمكاتب ..
ولتقتلوها عن كل منحنى .. وفى نفوسكم ..
فحيحها ابتسامة العدو ..
ونغمة اليقين فى لسانها كذب ..

«أنحن كاذبون لأننا بواقع الأمور نعترف ..
وليس فى اعترافنا ..
برغم قسوة الحقيقة المريرة اندحار
فى عالم القوى .. يليق بالضعيف ..
- وتلك خبرة العصور -
أن يلوذ بالقوىّ ..!

-كذبتمو .. نعم كذبتمو ..
لأنتمو ضعافنا وضعفنا ..
وخنجر الظلام فى ظهورنا ..
لتهمسوا ..
لتصرخوا بكل منحنى ..
لتنفثوا سمومكم ..
فشعبنا المؤمن الأبى والصمود ..
وانتمو جراحه القديمة ..
يعرف أن شدة الجراح .. وقسوة الألم ..
بداية الطريق للشفاء ..

- يا شعبنا العظيم ..
يا كادحين فى الحقول والمزارع ..
يا قاهرى الصحارى ..
يا ساهرين فى المصانع ..
يا رافعين السد فى وجه التخلف ..

أضلعكم جدران هذه البيوت ..
دمائكم حياة هذه الربوع ..
أذرعكم مداخن ..
نبضاتكم هدير هذه المدائن ..
قبضاتكم .. قلوبكم ..
إيمانكم ..
وبسمة الصباح فى وجوهكم ..
ونفحة الحياة فى عروقكم .. ملاحم ..
تحكى لكل خائر القوى .. لكل خائن ..
بأنكم هنا ..
كما فى عالم السلام تصنعون كل خير ..
فإنكم لو يزحف الظلام ..
تفجرون ألف فجر ..

- .. هه .. »
عدنا للكلمات الجوف ..
لحماس لايسمن من جوع ..
أو يحجب عن قلب الناس الخوف ..
قد شبع الناس .. من القول المحبوك ..!

- اسمع ياشعبى كى لا تنسى ..
ماذا تعنى فى الظلمة همسة ..
وإلى أين يؤدى بالحاقد يأسه ..

إسمع أنفاس الظلمة تتكلم ..
- أدمانا الشوك ..
فى درب لا نعرف أين يؤدى ..
نضرب فيه بلا جدوى ..
وندور على الأعتاب .. بلا أى صديق ..
مغلقة كل الأبواب ..
والواقف وحده ...
.. سوف يموت بلا أمل وحده ..!
- صدق الأفعى هذى المرة .
فى قول ما كان الصدق ليعنيه ..
« !.. الواقف وحده سوف يموت بلا أمل وحده - »
الكذب يخبّر عن نفسه ..
عيون الاثم تفيض مهانة ..
آذان الكذاب الخائر صماء ..
لا تسمع .. غير شفاه مرتعدة ..
لا تلمح نورا فى درب ينضح بالنور ..
لا تبصر كل الأيدى الممتدة من كل مكان ..
لا تبصر فجر الإنسان ..
فتموت بحسرتها رعبا ..

-أما أنت .. يا شعبنا العظيم ..
يا أيها الأبى المؤمن الصمود ..
يا من تعرف أين مكانك فى زحف شعوب العالم للنور
لا ترهف سمعك فهدير الأصحاب دوى ..
يأتيك قويا وشريفا من كل مكان ..

- كم أعطيت ..
- ولذلك يقتطع الأصحاب من القوت ليعطوك ..
- كم سارعت لتحمى وتلبى ..
-ولذلك من كل مكان يأتوك ..
- ما أنت وحيد يا شعبى .. ما أنت وحيد ..
-كلماتك تزهر فى كل مكان ..
أيامك ترسم أحلام الفرسان ..
آمالك تحمل فوق الأجنحة الخضراء ..
الإنسان .. المنتصر على ضعفه .. وعلى خوفه ..
- الرافع للشمس جبينا منتصرا لا يقهر ..
الصامد للظلم وللقهر وللعدوان ..
القادر أن يعلى كلمات الحق ..
شموساً تتفجر ..
لتشق أمام البشرية .. بهدير الآلة والمصنع ..
بالكلمة بالفاس .. وبالمدفع ..
دربا .. رحبا ..
يسع جموع العالم .. كى تثأر ..!

(١٩٦٧)

أحزان الفارس مقطوع الرأس

ابحث عنها ..
فى أروقة الأبنية الشاهقة المغسولة
ابحث عنها ..
بين سطور الكتب اللامعة المصقولة ..
ابحث عنها ..
فى توصيات لجان الخطب المعسولة ..
كل صباح تحملنى الأقدام
أدور أدق الأبواب الخرساء المقفولة
أعود إلى دارى كل مساء
أغسل وجهى فى الماء الآسن يبصقه الصنبور
أموت ..
أستيقظ فى الليل القمرى المختنق
أحلم بالخيل المدفونة فى قار الكلمات ..
ترثيني أمى والأطفال
تبكيني الزوجة
تخرج عارية الرأس إلى الطرقات
تصرخ .. فارسنا .. مات
.. حامل رايتنا المهترئة .. مات
خرج ليأتى بطعام الابن الجائع .. مات
عاد إلينا مذبوحا .. يمشى ..
يحمل رأسا ليست نعرفها ..

تم تشد الكفن الناصع كالكذب
على جبهتى المنغضنته البرصاء ..

أبحث عنها تحت الأقدام ..
أبحث عنها تحت سنابك خيل الخصيان
أبحث عنها
فى أكوام الأوراق المصفوفه فى
سرداب الآلام

أحمل ما أملك للأسواق أدور أنادى ..
يا أحزان بلادى ..
كنى بالأعماق فقد يرضى قاتلنا
يأمر بالعفو الملكى الدورى عمن فقد الرأس
تمادى فى الإجرام ..

يا ريح الغرب الصيفية ..
هاتى ما عندك .. مدى كفيك .. ذراعيك ..
خدينى لك عبداً حتى الموت ..
لا تدعيني للنخاسين وللسراق ..
اقتلعى شجرة عمر قدّده القحط ..
لا يصلح حتى للنار ..

يا قاطع رأسى ..
أنى أتعرى أتمرغ فى طين الأعتاب

أصلى أسجد لك ..
رد علىَّ الرأس ..
إنى أخجل ..
أبنى لا يعرفنى ..
أمى تنكرنى ..
هجرتنى أحلام الأمس
ذوبنى اليأس ..
الليل قبيح شتوى يسكنه الخوف
الصبح جريح مغبر الوجه
يخايلنى فيخيل لى أن هنالك خلف السور
فى الأركان المهجورة بين الظلمة والنور
ألمحها ..
رأسي كالحنضلة المبقورة ..
خصلات من شعرى تكنسها الريح المسعورة
أنفى يتجول تحت ركام بقايا أجدادى ..
يتسول قرش السياح ..
فى كف الأطفال بقايا من أذنى ..
لسانى يمضغه الأصحاب ..
كل مساء عند مقام ولى الله ..
ويسوق القرية بيع القفص الصدرى ..
بأمر ولى الأمر
كي يمنح ما بين الفخدين لبنت السلطان
ولأنى لست أمير الفرسان ..

دفعت بى للجلاد ..
ولأنى لست أمير الشعراء لم تنقذنى .. الكلمات ..
ولذا أدفع دمى المهدور .. بكل ارادتى الحرة
كى أتعرَف رأسى الضائع بين رؤوس الناس
المرصوصين على السّور

فى عالمكم يصخب صمت الخوف
وأوهام المخمورين ..
وانا بينكمو مسكين ووحيد ..
تعوزنى القدرة .. يخرسنى الخوف ..
.. أمضى ..
مثقوب القلب ..
مفقوء العينين ..
مشلول الكلمات ..
أكره فيكم صمتى ..
وأنا أحملكم فى عينىَ وبين رموشى ..
غرباء ومنبتين وكذابين عرايا ..
لا أرحل ..
لا أبقى ...
لا أحلم .. (فأنا طول اليوم أراه)
يتربص فى غرفات السجن وشرفات السوق
وبين مكاتبكم ..
يتمطى فى ظل الأشجار الجرداء ..

يتلصص تحت الشمس الباردة الكالحة الوجه
يعرى الأرداف يلصّ الخطوات يدق الأبواب ..
جاء ليبقى ..
مبتسما .. لزجا كالخنزير
بشرب يأكل حتى التخمة فوق موائدكم
ويرّوج بين الفقراء
عفونة أيامكمُ السوداء ..
أصرخ ..
لا يخرج صوتى من شفتىَ
اكتظت برّيتكم بالأتباع
وبالأنطاع ..

ألعنكم ..
لكنى أنشد أنشودتكم ..
أربط عمرى فى عجلتكم ..
أكرهكم من أعماق القلب ..
مثل كراهية القديسين الموت ..
قبل الغوص بأعماق الجسد الرخص المحموم .!

ليالي سجن ٧٧

الرحيل شرقا

هو السجن ..
تأسرني الأقبية
فأطلق قلبى لعمق السماء
يطارد طير (الحواديت) والأغنيات
يشاهد حين تهب الرياح
ارتعاشة لون الأزاهير فى العاصفة
ويعرف من أين تأتى النجوم بخبز الأمل
ويرحل خلف السفن
غناء
وطفلاً
ليمرح فوق رصيف الموانى
يشارك عمالها المضريين
رغيف انتصار الصياح
...
هو السجن
تحاصرنى الظلمة الحجرية
فأطلق قلبى إلى الشمس
شوقاً
تبارك رحلته الذهبية
الى حيث ترتحل الأمسيات
وتأتى القوافل

عبر جبال تشبعن بالدم والخبز والحادثات
وعطر الأرامل
يوحي بما خبأ الشعب للطاغية
فتزدهر المدن القادمة
ويكبر أطفالها الفرحون
على شاطئ الحلم والأغنيات
طليقي السراح
...
هو السجن
حيث تموت الأغانى
أغنى
وأحلم أنك تستمعين إلىّ
وأنك تنتظرين إيابي
كما انتظر التوت صوت اليمام
وأن غيابى
سيشعل فى ليلك الراكد اللون
شمساً
ونجمة
فيفقس بيض الحمام
ونعبر صوت الجنون
ونرحل شرقاً
لنولد فى ظلمات المخاوف - والضعف
رعداً - وبرقاً

ليلة الإنشطار

يتعقبني طيفك فى كل الأركان
يجبرني أن أستسلم للحزن
يلجئنى للهجرة فى الأوطان
...
إنشطر الليل
فقسم للريح
.. وقسم للإنسان!
...
أجبرني الشرطة أن أعترف بحبك
قاومت ...
ولكنى أضعف من أن أتغير
كانت عيناك علي ..
وتلاحقت الأزمنة
وأعيتني الحيل وأعوزنى النسيان ...
....
خيل لي أنَي أعبر (تل الزعتر) وسط رماد الحرية
كانت كفك تمسح جرحى
تمنعنى أن أركض رعباً
أو أقتل بين الجدران
...

إنشطر الصبحُ
فقسم للحلم
وقسم للجرذان ..!

....

أوهمني حبك أنىَ أقوى من صمتي
أن أتمرد كي أنجو من أسر الرغبة والآباء وجند السلطان
أن أعبر خلفك متراس الخوف إلى عينيك
وأن أعترف بأنك كنت دليلي
يوم عبرنا رغم حصار الأعداء - النيل
إلى وهج الأوطان ...

...

ما زالت جثة (نيرودا) دافئة الأطراف
وما زال الشعر جريمة
وتمزقت الأحرف تحت الأحذية الغجرية
... واحترقت أعين سيناء

....

فى الليل طلبتك
لم أجد القلم جواري
وحين انشطر الصبح
وجدت رماد الأغنية بصدرى ..!

....

كانت عيناك على الجدران تناديني أن نرحل
وكانت كفاك على شعري تزهر فى أعماقي حباً ..
وأنا بين الموت وبين الشعر

تحملني الريح إليك
يأخذني الصبح على أجنحة الحزن إلى عنيك ..
....
إنشطر الإنسان
فقسم للوطن
وقسم للأحزان ..
...
يا من يجمعني من أرجاء الأرض ويسقي بالدمع عظامى
كي أنهض من جدث الحيرة والصمت
بريئاً من آثامي
ولأجد النعمة والفرح لديك ...
لا يسلمنى قومي للهجرة
أو للموت
ولكن ..
يسلمني الحب إلى وطني
كى يحملني الوطن إلى شطآنك ...
لا تقتلني العفة ... أو ..
يهزمنى الحرمان ..!

الرحيل غرباً

انت جارية لكهّان و سادة
فأطلقي مني سراحك وأنهضي
يا طفلة من صلب أجداد ضعاف القلب
مرتعشي الإرادة
أُرضعت فى المهد أحزان الجفاف
.....
كنت فى عصر الولاة أمةً
من سلالات جحود كافرة
وبعصر الروم كنت العاهرة
وعلى أبواب عصر الترك راعية الخراف
جمَع العلماء أشتات الكتابات العقيمة
ملأوا الأنهار كتباً
زوّروا نسباً وأخفوا نسباً
ما الذى تخفين فى قعر جراب الحزن عنا
أفصحى ..
تصمت الريح إذا مرت عليك
يسكن النيل ويهدا البحر
يستسلم طفلاً فى يديك
(بحرك العنّين لا يُبدي علامة). !
تسكب الصحراء موتاً آسنا فى مقلتيك
(تشربين المر من ثدي السلامة)

ثم تبدين الرضا الآثم قهراً
.. فى فراش الغرباء
...
عسكر السلطان دقوا الطبل والأعداء جاءوا
يركبون الريح والفولاذ والموت المجنح
يركض الفلاح فى الصحراء .. يا ظل السواقي
لا يسعه الوقت كي يلعق جرحه
تلهب اللعنة ظهر الوطن المأسور فى القيد ومولاك ترنح
وبصدر المجلس المخمور كانت
(كوكب الشرق) تغني
للحبيب الهاجر الغالي وللوهم المسلح
...
ما وراء العائدين إلى القرى من مرج دابق ؟

لطخٌ من دمك المهدور فوق الآنية

أين طومان باى يا وهم الوعود الآتية ؟

كلهم أبحر غرباً

يطلبون الرحمة البلهاء يلقون البنادق
....
ما وراء العائدين الى قبور الصمت من أشلاء سينا ؟

جدول من دمك المغدور فى حلق الأحبة

أين عبد الله يا لحن الأناشيد الحزينة ؟
....
....
ها هو النخاس والتركي قد عادا
فوجه الأرض مربدّ وغاضب
أخرجى من جلدك المدموغ بالعار وكُفى
عن تأويل الحكايات المعادة

كنت جارية لكهان وسادة !!

انفضي عنك رداء .. القنّ
والصمت
وأوهام الإماءْ
ينبض العصر
بأشواق الولادة
فأعيدي ..
أرجعى للعالم المخصيّ بالخوف
عصور الشهداء ..

أو فبيدي فى أمان الذل
بيعاً وشراء ..!

●

صلاة في حضرة أوزيريس

اخشى من شطط الحلم عليك
فماذا تعرف عني ؟
وأنا جئتك من زمن آخر
أحمل آثاما لن تغفرها عيناك النافذتان
وأحمل جرحاً ..

كانت قريتنا تشرب ملحاً
تتقيأ أطفالاً مصدورين
وليال جرداء
وفتيات لا يتزوجهن رجال
وكان القمح عديم البهجة
والتاريخ عديم الإيحاء
وكانت نسوة قريتنا (البلهاء) يلدن الأطفال
على حجر الزمن العنين
ونحن نقول الشعر
ونتلو الذكر على أسماع المجلودين

كان الوطن جريحاً ينتظر الموت بكل صباح
يأتي فى عربات الشرطة
يأتى فى ماء الترعة
يأتني فى الصلوات الخمس

ويأتي فى القيلولة وعصىً الخفراء
ويأتي فى لهب الشمس
وكنت أغني للخضرة فرحاً
أحمل فوق رموشي أزهار التفاح
وألبس أردية القديسين ..
أبشر بالجنة للودعاء وللحمقى ..
وأدعو المصلوبين على أعمدة الصحف الصفراء
كي نشرب نخب عذاب العامل والفلاح ...!

وكان السجن ملاذاً للأطفال من الموت
وكان الحزن غذاء الفقراء - وكنا
نلهو بالثورة فى الأعياد ونتقن فن التحليل
وقتل الوقت بأوهام الكلمات الجوف
وأحزان الغربة
أو بالصمت ... ونحلم
لكنا حين أكلنا خبز الشعب السرى
وشربنا أنبذة النار المرة من كفيه المرهقتين
وعزفنا أنشودته الغجرية
خرجنا من رحم الأكذوبة والخوف إلى المدن البيضاء!
...
وها أنذا جئتك لا أدرى
هل تغفر لى فقري
شغفي
أوهامى

أحزان الطفل الصاخب فى صدري
وتشاطرني الخبز المر
وتفهم فى صبر عذري
أنا - يا من جئتك أحمل فى جفنىَ حنانا يقطر
من سالف عمري
أم أنك سوف تظل الجرح وحد السكين
حتى يوم الساعة أو ينكشف الليل الفاتر
عن وجه الطين
ويزهر شجر الأنساب ...
لا تغلل يدك
ابسط كفيك اليّ وخذني
انزع عني أقنعة المرتعدين
آن أوان الإخصاب
فيمّم وجهك شطر قبور الفلاحين
قريتنا من زمن أزليّ تنتظرك
تتسمع خطواتك
فى القيلولة تأتي
فى ماء الترعة فى لهب الشمس
تخرج من همس الموج
ومن صخب التكوين
كيما تنطق كل الأحزان الخرساء
وتبعث أغنية أخرى
من زمن آخر ...
نحن كتبنا أول حرف فيها بدماء الشهداء
وضعف المرتدين..!

أبيات من ذاكرة الوطن الأول

تعبر السحب المطرة حقول الأرز بادية الجهامة والضجر
ويصلي الضفدع الظمآن يستجدي المطر

تنتصب القضبان الصدأة والأسلاك الشائكة بذاكرة الشعر
تنفجر الأشواق بقلبي
فأحس بخديك المشتعلين يعبان المطر المجهول ...
يا ليل الغربة
ماذا قبل الحب ؟
أليس لأحزان الشعراء بداية ؟

عيناك بذاكرتي تسترجع قصتنا الوهمية
يا مرفأ رحلتي القروية
تستقبلني فى أحضانك أعشاب الواحة
والظل الراحل فى عمق الصحراء
وأغلفة الكتب المشتركة تنقذني
من هول الجذب البدوي
ومن قارعة العثمانيين بأسواق يناير
فتهاجر فى الحقب القادمة على أجنحة الريح
وترتحل إلى ذاكرة الشعراء عصافير المنصورة
لكن الموت المتربص بي خلف مداخلك المرصودة
يدهشني
يوقظ فىَ مواقيت الشعر ؟

أبحث .. لا أجد بذاكرتي غير الحب الراحل
في ذاكرة الطفل
يفجر لهب الأشواق بخديك المشتعلين
بأشواق الثورة ...
يوقظ قلبي ظمآنا
يستجدي المطر السري ليغرقني في لجة نهرك
أتعلق في أغصانك
أتشبث بجدائل شعرك
أزحف كالعشب على صدرك
وأمد بأعماق شواطئك جذوري
كي أنبت في ذاكرة حقولك
أشجاراً خضراء جديدة
لا أتبدد في ذاكرة الوطن
دخاناً
لا أرحل عن ذاكرة عيونك
دمعة حزن
أو ظل قصيدة ..!

أيام الشعر

أحمل قريتي (الكفرانة) عبر النهرين
أنوء بحملين
أتعثر فى الجوع و فى الجهلين
خيبة أملي صارت خيبة أملين ..
كانت أياماً من فرح مالح
حاصرني رعب الفقراء ، خوف الأرحام ،
قلق الأسلاف القتلى ..
أن يتعايش يُتم الأطفال وجشع الحكام ..
- إتبع سير السلف الصالح
فى أطرافى تترسب كالملح المالح آيات التحريم
تنتفض القرية فى وهن القلب
يلجمني ضعف الأم ويمنعني أن أخطو للنور
تحاصرني اللعنة والمقرعة البدوية بالتجريم
يحترق العمر بنار الحرمان
أسلم وجهي للأحزان ويرضيني التسليم

السنوات توالت
أسقطنى الوهن الريفي العاقر فى الأحلام
أدق الأبواب المغلقة ولا صوت يجيب
أعشق حتى اليأس ويوم الوصل أعود -
مكتفياً من وهج الذكرى ببدايات أقاصيص
لا تصلح للتكذيب

- حين أعمتنا المصالح
أوغلت فى القلب رائحة المذابح

الآن رجعت عجوزاً تكرهنى الأشجار
عمرا من أسفار خائبة لا تدفنها الذكرى
تلحق بى الأيام فتفضح ما أخفته الأحلام طويلاً
فى ستر العتمة ..

اليوم الأول خال من نبل الأحزان
اليوم الثاني
أفسده الإذعان
فكان الثالث ضيّعه الحرمان
وفقدت اليوم الرابع سهواً
واليوم الخامس فى الندم على ما فات
ويوم رأيتك كان اليوم السادس
ها انذا
يحملني النهر اليك كأزهار ميته أعيتها الحيلة
أنكرت الحزن المر بأيام صباي
أخفيت الخيبة يا حلم شبابي ..
وكذبت طويلاً لأجمَل للأطفال عذابي ..
- ضيعتني الريح فى عش الجوارح
وكأني لست أهلاً لأسامح
كم كان القلب يود عناق العالم
وتشهىَ جسدى كل نساء العالم فى نهديك

اشتاقت كفي لبنادق ثوار الأرض بظل رموشك
وتمنيت رضاءك، عشقك ، موتى بك
فرحة أن ألتجئ إليك ..
ولكن ..
ماذا تعرف أحلامك عني ..
لن تسعفني ذاكرة الطفل لأحكي
لن أجد القدرة كي أبكى
فأبى لم يترك لى شيئاً
غير الرعب الراحل فى حقب الأجداد
وأمى عاشت خرساء
تحاصرها أحزان الأمس فتعجز عن رؤية
ما تنقشه الريح على الأبواب المهجورة
ماذا ينتظر الأعزل فى أرض مزقها الصمت
وسحقتها الصدفة
صار الشاعر فيها مجهول الأنساب
ومهتز الصورة ...

- حب الوطن كرسنٍ كبح حصاني الجامح

قطعني حبك أرباً أرباً
يا من فى عينيها تمتزج بحار الدنيا
وعلى شفتيها يرتحل التاريخ
تشرق شمس الأسطورة
تولد ضحكات الأطفال
جمعني حبك والحرب سجال

الموت يدق الأبواب
ليفضح صمت الشعراء ورعب الآباء
وأحزان الأم القروية
أنطقني حبك شعراً من بحر آخر
ودعتني عيناك لأبحر في المجهول
وفي المعلوم
لا أخشى جهل الترك ولا نار الفرس
ولا حيل الروم
أيقظني حبك أوقد ناري
أنزل في بيداءك أول أفكاري
انبت فوق شواطئك القاحلة حدائق أشجاري
فعرفت بأنك أول أسفاري
آخر أشعاري
وكأني ما غادرت القرية يوماً ، ما غنيت
وما أبحرت وما فارقت دياري ..

فليكن اليوم السابع
كي أرتاح على شطآن عيونك مرَج البحرين
ليغرق موج حنانك ليل الأوهام القروية
يغسل عن روحي الحزنين
قد تكتمل بقلبي أغنية التكوين ..
ويندمج اللحَنين .!

وعد المواقيت القديمة

فى غفلة من حزني الليلي تقتربين مني
تتسللين إليّ عبر الليل والعشق القديم
ونوافذ البيت المعبق بالبشارة والتعب
فإذا مددت اليك كفي
تهربين
أنت التي بالأمس قد عودتني
بالأمس كم عودتني
أن أستريح على شواطئ عينك الفيروز
حين يضيق صدري ..
لحدائق المرجان فى شفتيك أنت دعوتني
بالأمس أنت دعوتني
كي أحتمي من سالف الأوهام من أحزان عمري ..
الآن تبتعدين
أنت الأن تبتعدين عنى ..
وأنا قرأتك فى كتاب النيل فى كتب الملاحم
وأنا أنتظرتك خلف جدران السجون
وعرفت أنك لست وهماً .. إنما لحم ودم
كانت عيونك يوم قارعة الجنون تغافل الحراس
رافضة وداعي
حين التفت فلم أجدك تبعثرت أيامي الجرداء
وأنكسرت شراعي ..

ابحرت خلف مواكب الترك التى أكلت زراعي
كالطفل أبحث عنك فى سوق المدينة
أبكي لعلك تسمعين صراخ أغنيتي الحزينة
كان الزحام وكان موت أو سجون
دخل الملوك إلى القرى بالقارعة
يخضبون مداخل المدن الفقيرة والموانى
يعلقون قلائد الكذب المسيس فى رقاب العاهرات
يبدلون الأقنعة
ويلونون القول فى الورش الصغيرة والدروب الضيقات
كانت مواكبهم تسد الأفق من حِقب الضياع
إلى الضياع
تتكاثر الحشرات فى أفواههم تلد الأفاعي
فيفر للمجهول طير البحر
من هول الصراع

أخفيت أسمك فى ضلوعي
اليوم موت أو سجون
والنصال تكسرت تحت النصال
وخشيت أن يتعرف الأسرى عليك
فما نجوت من الجنون
يا من وهبت لعشقها ما قد تبقى من قصائد
أخفيت عنهم قصتي
أنكرت حبي .. صاغراً
ورجعت أسأل قادة المدن الأسيرة عن معالمك القديمة

أجوب أرصفة القطارات التى لم تأت بعد
وأسائل العمال عن بحارة عشقوا جمالك
وأختفوا تحت الرمال
أرقب النيل الذى يوماً دعانى أن أسرَ إليك
ما أخفاه حبي من جراحات القتال
فترفقى بي أننى من خوف أن تنأين عنى
عشت مقتولا بذنبي
موتاً أكاد أموت من رعب السنين الآتيات
فتقدمي أنت
انزعيني من حقول الموت عودى بي
وبوحى للقرى والناس بأسمى
مدى إلى قلبي عبر ليل الصمت كفا

طهريني بمياه النهر هذا القلب جفا
علني أورق مرة أخرى وأزهر ..
أنشد الفرحة للعشاق لا أنشد خوفاً ..

تهنئة الشعراء الأطفال

فى الليل
توافيني رغم القضبان أناشيد الشغيلة
تلوح لى عبر بحار الدنيا رغم الظلمة رايات الثوار
على خيل الكلمات تجيئ الأحلام
رغم الجند وصلصلة الصلب وصهللة التجار
تتسابق نحوي السحب الممطرة وضوء الشمس
وأمواج الأنهار
يفد الأصحاب إلىَ
أرحب وأهلل وأقبل وأسلم كالطفل
دموعى تقطر فرحاً
أمتلك الزنزانة والميدان وشطآن النيل
وضفة عينيك وصوت الأمطار
أملك ناصية الأشعار
أصير الطير الصياح اللاهي فوق
جناح الشعراء وقمم الأشجار
يحملني (هوميروس) إلى الأوليمب يعَمدنى
يطعمني (نيرودا) من ثمر الجنة
يهديني إكليل الغار
يعلمني(المتنبي) كيف أواجه غدر ولاة الأمر
وأنجو كالشعرة من لؤم الأشرار
وبقدرة (بيرم) أكشف (لوع) السوق الفاجر

ونفاق الشيخ الغافل عن زيف الأفكار
يسقيني (لوركا) خمرا من وهج النار
يصحبني (ناظم) سراً لحواري أسطنبول وباريس
الشعبية كى أشهد مجلس (ايلوار)
اتطهر فى عيني (إلزا) الزرقاوين
أشاطر (حداد) الخبز بكوميونات الأنصار
يقرأ لى (عبد الله) كتاب الشعب وأنجيل الحكمة
(عنترة) يقلدنى السيف
ويقرئني (هوشي منة) سفر الاصرار
ساعتها
أوقن أنك تنتسبين الىَ
وانى اقرب لك من حبل وريدك
الصق بك من فرحتك ومن حزنك
من صمتك ساعة تخفين عن الدنيا سر الاسرار
وتخفين عن العالم حبك لي
ساعتها اوقن يا توأم قلبي
انى أملك أن اهواك وأن أعترف اليك بحبك
آخذك إلي صدري رغم الحراس ..
أنشد لك أجمل أشعاري عبر الأسوار

إقتربي
القوم نيام
العالم غاف مبتئس يبكي هول طغاة الأرض
وسرّاق الأحلام

إقتربي
تغفو الريح على قدميك
يأتلق التوت
يأتيني البحر بألق الأسماك السحرية
أثقب ليل الخوف على نهديك
تكتمل الأغنية على شفتيك المصرية
اصرخ فى وجه المرتدين
أحبك ..

يا نهر العطشى ..
يا واحة بيد العشاق
الليلة يبدأ تاريخ الأرض
ينفجر الزمن
تغدو الزنزانة قمراً
يطغى البحر ليغرق كل المدن الخرساء
يشرق وجه الوطن المغدور
تغفر كل ذنوب العشاق
اذ تولد فى الغابات البكر أناشيد جديدة
يحملها الشعراء الأطفال ..
أكاليلاً ..
للشعراء الشهداء ..!

●

رؤيا

سبع سنوات بوديان الجفاف
آه .. يارب المطر

ما الذى يحكيه فقر الحلم عنا
أيها الشعر الذى يهرب منا
يصمت الجوعى فتكتمل الخيانة
يصبح القمح مرادفاً للقتل فى كتب المقاتل
لوث الطحلب أحلام الجداول
فصحا القاتل فى صدر المناضل

عندما تسقط شمس اليوم فوق البحر
ترتحل الضفاف
ويضيق العالم المتخم بالموتى بإنسان وحيد
ومغنىً يخاف الليل
يسقط فى جب البدائل.

يتغذى الشعر بالأوهام
تنتحر الجدائل
فى أكاذيب الأقاصيص الرقيقة والرسائل
مرة أخرى ولا تنمو السنابل
ويصير الخبز مشنقة لأصحاب المناجل ..

تعجز الشمس عن التحديق
تخفى عنك وزر الابتسامة
يعجز الطين عن التحليق فالميدان مزدحم
ولم تظهر علامة ..
حقلنا خاو
وكانت قاعة الفرعون تهذى بالبيانات المعادة
فيكف الطير عن شدو الولادة ..

تتغذى مصر بالكلمات، والتاريخ ينتظر البداية
مرة أخرى يصير الحب وهماً ، والسياسة
لعنة التاجر والشرطى..
والشعر غواية
إذ يموت الحلم قبل الصبح
يمضي النيل للبحر بكل الأغنيات
وعلى حائط حجرة التوقيف والإعدام
والنوم وجدران المدارس
ترسم الأكذوبة الرسمية الكلمات صك
العشق أوصك الندامة ..

يخجل الجلاد من عينيك اذ ترنو إليه
إذ يصير الذبح وعداً بالسلامة
لو تمردت عليه ..

عندما تصعد شمس الأمس عارية من البحر إليك
لا تظن الضحكة الخجلى حنيناً اشتياقاً
أثخن الحلم جراحاً وشظايا
قريتي تكذب والوالى إلى الصمت استراحا
كتب القواد تاريخ المدينة
عانق الشعر الخطايا
أو يضيق العالم المتخم بالكره بمحبوب وعاشق.

كذب الوعد ولكن السنابل
تكره الشعراء فى المدن الكسيرة
تشتهي نبض الحقول ..
فانتفض ..
لا تكن جمعا زحاما مستباحا ينقرض ...
لا تكن عشبا بساحات القتال ..
فاعترض ..
أنت ملح الأرض معشوق وعاشق
أودع الشهداء شمسا طفلة فى ساعديك فلا تراوغ وانتفض
اقبض على عنق المناجل ..
قبض ريح كل هاتيك السلاسل والمشانق والمحارق ..
انتفض هذا أوان القطف
أشدد قبضتيكَ .. إذن ..
أو اضرب رأسك المحشو بالأوهام
فى صخر الحقائق ..!

الأوحد الوحيد

يروّض كل يوم ساعة فى السيرك
يُمتحن اختياله
وفوق حبال منصبه الثقيل الظل
يُختبر احتماله ..
يشذب جذعه يشفي على الخط إعتلاله ..
يبرأ من مغالاة المخالف والممالئ والمعاند
وتبتر عنه أطراف التطرف
والتباغض والتباعد
تقطّع منه أوراق وتبعد عنه أغصان
ويخليَ حوله
يُجلي جماله
ومن بند المجاملة الخفية والرضاء يزاد ماله ..
يطهر فى الصباح بماء زهر ..
يجفف فى نسيم الأمسيات
ويغسل فى الأضاحي
يلمع رأسه الخاوى وتصبغ وجنتاه
ويُقص له بكل الحرص شاربه، سوالفه
تزال زوائد الشعر القبيح بمنحزيه
يضمخ بالثقافات القديمة والحديثة
تستتاب له المعاصي ..

الأوحد الوحيد

يروّض كل يوم ساعة فى السيرك
يُمتحن اختياله
وفوق حبال منصبه الثقيل الظل
يُختبر احتماله ..
يشذب جذعه يشفي على الخط إعتلاله ..
يبرأ من مغالاة المخالف والممالئ والمعاند
وتبتر عنه أطراف التطرف
والتباغض والتباعد
تقطَع منه أوراق وتبعد عنه أغصان
ويخليَ حوله
يُجلي جماله
ومن بند المجاملة الخفية والرضاء يزاد ماله ..
يطهر فى الصباح بماء زهر ..
يجفف فى نسيم الأمسيات
ويغسل فى الأضاحي
يلمع رأسه الخاوى وتصبغ وجنتاه
ويُقص له بكل الحرص شاربه، سوالفه
تزال زوائد الشعر القبيح بمنحزيه
يضمخ بالثقافات القديمة والحديثة
تستتاب له المعاصي ..

رسائل إلى ليلى العامرية

أتنسم ريح مضاربك
أذوب على صدر الليل لأنشق عطرك
وحين تطالعني عيناك ، يفاجئني الألم .
فأخفي عنك الآهات المصرية
أخرس أغنيتي المقهورة
وأغافل رسل الأمويين
لأهدى لك باقة أيام وردية ..
ولأملأ كفيك بحلم من فرح وثني ..
لكن قصائدى السرية ، تكمن خلف ثنائية نفسي
حين تجاوز حد الإفصاح
تعود إلى مكفنة برماد الشمس ..
....
أحلم بالشطآن وبالأنهار
ولما أتلفنى العطش البدوي لغانية الدلتا
صاحبت الركب الراحل للكوفة ..
القافلة ارتحلت عني ، خوف نواطير العربان ..
لشواطئ عينيك وللحب ..
ألقاني الأخوة فى الجب
لقاء دراهم أصحاب حقول الزيت ..
وأنقذنى بعض السيّارة – لكن
أنكرنى أهل البيت
- فمن يدفع دينارا فى عبد عاشق ؟!

حلمك يا بنت العم يؤرقني ..
حلمك عصرى – والقرن العشرون بعيد
وأنا لا أملك إلا سيفا صدئا من شعر وحديد
وبقايا منشور سرى ..
وغذائى ملح وقديد ..
تتعقبنى أعين صاحب مصر
يكرهنى حاكم مكة ، وولاة المغرب
وقضاة الشام أحلوا دمى ، فطاردنى الحجاج
ببيداء تهامة والسودان ..
أخفيت الحلم بكمي
وتخفيت لكي لا يعرفني العسس الليلى –
وجئتك لا أعرف فى هذي الأرض سوى بحار
من أهل البصره ، قالوا لي يملك خارطة الزمن
يفسر سفر الرؤيا
لكن مات بداء السل .. وكان يقول الشعر
فعاش شقياً تأكله الحسرة .!
..
أعطاني بعض العشاق ، عناوين رجال عبروا نهر
الأردن بخبز وبنادق
لكني ضيعت الأوراق وضعت –
لما دهمتنى داوريات الحرس الاسرائيلى بسيناء .!
...

يا من يوقظ حراس الأسوار
ويأخذ عمري ..
جئت أحذر يا أصحاب الدار -
يصل الأعداء مع الفجر ..
فاغفر لي ياصاحب كل الشرطة ، أني أعشق ليلى
وملامح أمي .. وأغانى فيروز وضحكة ولدي ..
إغفر لي آثار سياطك تنهش ظهري ..
وتجهَز للقاء التتر

هذا جسدى ، قربان فاغفر لي ، مزق جسدي ..
أنثره على جدران السجن
وفوق جذوع الأشجار
واسقي عسكرك وسمارك من دمى المهدور ..
ولكن
أيقظ حراس السور
أو أخرج للقاء عدوك - قاتل
لا تغرقي فى وحل العار .!
..
مصلوب قلبى يا ليلى فوق شواطئ نهر النيل المأسورة
إيزيس - اغتصبت
فابكي يا خاتمة المدن المنصورة ..
يتناسى أهلى أسماء الشهداء
وينكر أهلك أنا كنا نبنى مدناً من عظم الموتى
فأداروا ظهرهمو للشمس ، ورحلوا
خلف الأوهام الأمريكية

فتعالى أنت إليَّ ..
أنظر في نافذة عيونك كي أتطهر ، من أدران
قرون العرب الوسطى ..
وأصارع ألمي ..
أخرج من جلد الشاعر ، أشهر سيف الثوار
تطلقني عينُك من جب الآهات المصرية
والأغنيات المقهورة
نخرج من أوهام الحزن ، إلى رحم الثورة ..
نحترق بلهب الحب ، فتكتمل الأسطورة ..
نولد في خاتمة الليل ..
عصافيرا زرقاء ..
تنقر شباك الريح الشرقية ..
نعبر نهر الأردن ، إلى الوطن الطالع من
- أحزان الفقراء المصلوبين
على أطلال الأنظمة العربية ..!

●

إختيار.. للإنتحار..

(موج فيغرقنى ..)

عيناك أمنيتى وأحزانى سؤال
أي الإجابات قد عادت تؤرقني
فوّضت فى الأمر قلباً كان يعشقنى

(قُبل من الليمون ..)

أحضان من التّوت المكبّل بالتّعب
جفن مسهدة وأحلام لها ليل .. يمزّقني
كل المسافات أشواق لتحرقني
قمح يحدّق فىّ ..
خيل لها ظل ليكسره الجدار
نجم تمرّد ثم سيق إلى المدار

(وجع بذاكرتى ..)

يا أيها الشجر المسافر نحو قاتلتي
النيل يوقظ فى أشرعتي ..
أين البداية كانت من نهايتنا
كلّ النخيل لها وكل القاطرات

ولنا سكون محارة الموتى ..
وجرح الأغنيات ..

« هزي اليك ..!»

فإننى لا أستطيع سوى انتظارٍ بعد طول الانتظار
رحل الربيع بكل تمر المتعبين ..
ولم يكن غير الغبار
لم كل هذا العمر فى سفرٍ ؟
وأنت هناك يمنعنى الحصار ..
هرولت خلف الريح لم ألحق بقافلتى ..
فى الصيف ضيعت الهوى
وسكبت أيامى على صدر الرمال ..
أكل الذئاب عيون راحلتي
وخاصمني اليمام ..
ثقب بصدري لايزال ..
نصل بخاصرتي السؤال ..
العاشقون تجرّدوا من كل أوراق العقول
وحدى سقطت فريسة الضجر المؤدب والنهى والاحتمال
ما كان لى أحد هناك ولا هنا
يوم انتهوا للقتل وابتدأ القتال ..
ألقى السراب بنا لشطّ من سراب
وأضعت عند مفارق الطرقات أغنيتي .!

فأخلع ثيابك ..

إنزل الماء العميق ..
النيل كان ولا يزال هو الطريق ..
فإذا نجوت ..
تكون مشنقتي بداية لاختيار
واذا غرقت
تخيرَتك لها الشقيق أو العشيق ..
وأجبت يا مجنون أسئلتي وأضحكت الصَغار ..
فاطرح سؤالك .. والحق النيَل المضَيع فى البحار
لعلّه يشفق عليك ..
يرد طائرها إليك ..
فتعترف ..
أن اختيارك كان بدء الإنتحار ..!!

●

رحيل المدن

- ثرثرة عند رأس بيروت .
- عصافير كفر الشيخ .
- لموعد ومدينة أخرى .
- هنالك لى نجمة فى الجنوب .
- ودخلت فى بيروت .
- سبع مداخل للخروج إلى سيناء .
- النيل وجه وللخرطوم وجهات .
- هذا زمان الأمن فأرتجفي ..! .
- للأحجار أجنحة .

خوف

كانت المياه ملوثة بالهواجس الريفية
وكان الشارع ملوثاً بالأغنيات
وكانت الجرائد
ملوثة بالتواطؤ ..
وكانت المسافات مستحيلة
بين الظهيرة والأمسيات الغجرية
والمرأة التى أستجارت بي ..
كانت ملوثة بالذكورة
وكنت فى براثن المجاعة
- أنا الذى تطهرت بالخوف والضعف
والذكريات
ألوث نفسي ببعض الشجاعة ..!

○

غربة

للطير أغنيات
وللملعب البلدى أحزان قديمة
وللشارع البحري رائحة السمك
...
للبحر ذاكرة

وللحواجز قادة نُجُب
ولشاعر العرب المدلل صولة فى غرفة ملونة ودولة ....
ولسكرتيرته العذراء تنورة من البنفسج
ولغرفتى المجهولة النسب - ملامح مقبرة عصرية الأكفان
ولها طعم أمرأة تفوح برائحة اللحم المطبوخ ومذاق الدخان
وكانت شرفتى المقصوفة
ترحل كل مساء هرباً من لهو القناصين
ومن عبء الكذب المتدثر بالموسيقي والألوان

○

كوابيس

ليل من السواد السرمدى
والصمت الأبدى المتراكم
تختفي فى جوفه الأزرق كل القبائل البدائية
والخناجر البدوية
وينام فى أحضانة المضمخة
بالنفط - الصحفيون الأشرار
والثوار الحمقى ..
ويبدأ منه الشعراء والحشرات رحلتهم الأبدية
نحو الموت والميلاد
فى هذه البلاد المستحيلة المثقلة
بالنفايات الملغومة
والأسرة المفخخة ..!
والتنظيمات الثورية ..!

○

خديجة

كانت خديجة غير عذراء وكانت
لا تجيد الحب وهى ببذلة الكاكي ..
وكانت لا تجيد الطبخ لكن
تعشق القهوة ..
وكانت فى المساء تجيء إليَّ تحسدنى ..
على قلقي وتبكي فوق كتفي ...
وتغبطنى -
لأن هناك لي وطن من الذكرى
وأنى عشته طفلاً
ولي درب سأسلكه إليه أعود
فكنت أكفكف دمعها لتقوم ضاحكة
لتغسل بذلة الكاكي ..
وتصنع قهوة مرَّة ..
وتمضي تحت رعد القصف - تبدأ رحلة اليومي
من رمل ومن موت .. إلى الأوطان ..!

○

تآمر

الليلة..
شاهدت النيل عند الفنار
يلهب رأس بيروت بشواظ نار أجنبية ..
ويحدثنى بلكنة أعجمية

وحين أغراني بالشرب من عكارته ..
أنكرت عيناي ملامحه العبرية
....
كانت مياه النيل مالحة
وثمة طائرات عربية ..
ترفع الرايات هاتفة باسم الفاتحين ..
تحكم الحصار حولي
تبحث بين أضلعي وخلف قولى ..
عن الهوية ..

○

نكوص

فى زمن الموت ..
أعلّم نفسي أن أحيا فى أروقة الأمس
خوفاً أن يأسرني يوم يأتي ..
ليوسّدنى يأسي ..
فى قبر عربي الصمت .!

○

القرنفلة

جارتي العجوز
التى تحب الفراشات والصبار
وتعشق النباتات الخضراء والنَعنع

وتؤثر اللبلاب بالمياه النادرة
وتفرح كعذراء حين تتفتح فى شرفتها
زهرتها اليومية ،
كانت تترجم لي بالإشارات لغة الطائرات ..
الجارحة
ومسافات الحرائق
والبلاغات غير الرسمية
وفى المساء الذى أصيبت فيه الشرفة ..
بالخرس ..
ظلت قرنفلة الصباح معلقة فوق الأسمنت
المهزوم الذاكرة
كنجمة باهتة من الحقائق المالحة ..!

○

على المكشوف

حين أصبح العود حصالة للدراهم
والهتاف صار قبعة
والشعر أقنعة
ذبحت الثورة – فوق طاولة المقهى –
أطفالاً جهزتهم من قبل القتال وللملاحم
فأصبح الصمت حكمة
كالصبر
من الفقر
والخجل الذي كان حصاناً للرحيل

صار مبرراً للقبر..
فانتبه لرصيدك البشريّ يا وطني
فثمة من يراوده الخيال..
أن يكون الذبح فى السّن الملائم
وأن يصير الشعر مقبلات كافة الولائم

○

تحول

كانت خنادقنا
مقابرهم
صارت فنادقهم مقابرنا ..!

القاهرة ١٩٨٢

●

الزوبعة

(إلى محمود دياب)

قرأت فى كتاب النيل يا بنى
أن غيمة سوداء قادمة
وعالما يكون الرأس فيه خلف الذاكرة
والقلب فى المؤخرة
إذ يمتطى اللوطى والقواد والخصَى
شرفة المقدمة
فيصبح الجنون مهرباً من الجنون .. !

●

هذا زمان الأمن . فارتجفي !!

« إنهم يقتلونهم فى الزحام .. يعطونهم فى السر فاتحة النظام .. »

دخل الملوك مدينتي والأمن ساد
وكأن شيئاً لم يكن فالجمر كفَنه الرماد
الكل (ملهيً) على عينيه بحثاً عن مفيد مستفاد
إذ كل شيئٍ مستتب ، مستمر ، مستعاد
أو مستزاد يستزيد من الفوائد بالمزاد ..
بشرى لأبناء الحكومة ، للمباحث للجلاوزة الشداد
من زلزلت بهم الشدائد
زينت لهمو الشواهد
جمَعت لهمو العوائد زُلزلت روح البلاد .
ماذا وراء الضَجة الكبرى سوى هرجٍ لتدجين
الطرائد أو لتسخين الطراد ..
ليشد بعضهمو لبعضهم اللجام ، فبعضهم
قطعوا يديه وبعضهم قطعوا لبعضهم الزوائد
أتلفوا لهم الزناد
والكل يكتسب المكانة مبدلاً عار المهانة
والخيانة بالمقاعد
يستبدل الزنزانة الصغرى بأخرى فى
مغانمها يكابد كى يعاد فلا يعاند أو يكاد ..
......
يا من يخبر (خالد الذكر) الذى ما غاب قَط ، بأنه

ما زال فوق مراوح الصدر الكسير القلب
من يونيو إلى (طالون) قاعد ..
فى الصحو أسمعه تطاردني خطاه ..
فى المكتب العلوي فى السفلي فى الخلفي
فى الساحات فى سوق الثقافة والسياحة
فى البنوك وفى المدارس ، فى المسارح والمساجد
صور تدس أنوفها
تتصدر الصفحات والندوات والبورصات
تلتهم الموائد
فى النوم أبصرة إذا خلت الحواري ..
متطاوساً يمشي بزي المخبرين ذوى التقارير الخرائد
يلقي الخطابات النكات ، يدبّج الصحف الأجيرة والقصائد
ويدوس ناصية الزمان مفاخراً حقب التخلف -
والخرافات البوائد ..
ها قد تركت بكل أرض بذرتي ..
خلّفت فى كل المواسم والعواصم والقصور خليفتى
وبكل زاوية زعيما أو مديراً أو وزيراً ما هرا
زَرِب اللسان بحجتى ..
وبكل ديوان تركت محدثاً أو شاعراً يزهو برتبته
على دربي يجاهد خيبتى ..
كيما يطوّر فكرة الإلهام يبدع فى قرارات
الرضوخ والإتهام لأمتى ..
أين المفر ؟!
يعود كلكم إلى مساوماً روحى بما اقترفَت يداه ..
فمن يزايد كى يزاد ..
أنا ما تركت رقابكم أبداً .. فأين ستهربون ؟

أنا من صنعت لكم ، صنعتكمو عرائس للمناصب
والوسائد ..
هيا أرقصوا .. فأنا الذى سحق العقول وذلكم ..
وحشوت بالأوهام والمزق القديمة والحديثة عقلكم
وجعلتكم أهلاً لأحلام التسلط والمكائد
جهلاً .. زهوتم بالجهالة عشتموا تتطفلون على نفايات العقائد
يا من تعلمتم أصول الحكم والحكمة غصباً فى -
دهاليز التأدلج بالمعاهد ..
وكأنما الإيمان والأمن المكلف بأغتيال الفكر واحد
بشراكمو ، بشرى لكل القائمين على المنافذ
والنوافذ والكمائن والجرائد من أجاويد أجاود
دخل الملوك مدينتى ..
والأمن عاد
واذ يسود الأمن بشرى للبلاد فإن يوم
المجد بالتأكيد للتأبيد .. عائد
لو تذكرون ؟
دروس قارعة الهزائم والشدائد ..
أيام كنت أروّض الغوغاء والدهماء كنت أسوقها
وأسوقكم معها إلى سوق البطولة والسياسة
للمصائب بالمصائد ..
واليوم طفل الأمس أنضجه خضوع البائدين
لسطوة النصب البوائد

هالليلويا .. هالليلويا ..
الأمن ساد فهللوا .. هيا أرقصوا ..
وترنموا يا أيها الشعراء بالمطر الذى بالجدب عائد !

يوميات منسية من دفتر بيروت الغربية
٨٠-٨٢

الحدود

عندما حاصره الجند
سألوه - قبل أن يعتقلوه - عن القصيدة
لماذا كتبت ؟
ولمن قرأت ؟
وماذا ستكتب غداً ؟
رد فى فرح طفولي
هل أبدو كعصفور شدا
ليس لي فى ساحة الشعر مدى
ها أنا اليوم سكتّ
فاسألوا القلب الذى فى الصمت يشدو مجهداً
إنه الحى الذي فىّ - ولم يقتل سدى
......
نثروا جعبته فوق الحدود
واستشاطوا صارخين
كم مدينة دخلت ؟
كم رويت ومن رأيت ؟
قال : بيروت هنا فى القلب ما زالت لأجلي
تشعل القنديل فوق شطوط مصر
ولم أكف عن الرحيل
......
علقوه على بقايا السنديانة
واستداروا ساخرين
- كم جميلة فى غربة القلب عشقتَ ؟

قال فى صوت كائنات الصدى
- أننى ما زلت فى الغيب - البديل
أرقب الوطن الجميل
لم يجئ بعد
ولم احفظ له إلا القليل
وكأنى بعد .. لم أولد
وصمتى مستحيل.

○

الاجهزة

صلحت أمرأة الذى سيموت فى صابرا
وشاتيلا وحيداً وحده
كيف ؟
هذا الطفل بيقي للذئاب
وترحلون ؟!
....
يولد الأطفال فى بيروت قتلى
يولدون
أى تثريب على من يهربون ..

خجلوا منها قليلاً – إنهم قد يخجلون .!
....
تململت فى صدر آمر بورصة الأنباء خاطرة
فتمتم فى سكون
(تركت شرائط الفيديو لها بالشقة الأخرى -

ليس ذنبي ما حملتني ابنة البواب من ذكرى .؟)
وعض بنانه صمتاً ، إذ التقت العيون مع العيون .
فاستدار إلى رصيف الشط -
تمتم فى آسى حكيم - وسكون ..
(الفيلم صار مضجرا ..
والبحر جاء فى موعده السليم ..؟

○

ديدان

قال الصحفي القصير القامة
كتبت اليوم
عموداً .. طويلاً !!! ؟؟

○

كفن

فى زمان الأنبياء
كانت صواعق السماء تأتي
يوم تغضب السماء
رحمة بالخلق
أو حجة مُثلىَ لتبرير الشقاء

كلنا كنا أمام الرب فى البلوى وفى السلوى سواء

سوقةً وأغنياء

ثم صارت كلها فى عصرنا العاشر تأتى
كلها دون التواء أو رياء
لتدك منازل الفقراء .. وحدهمو
تدك منازل الفقراء ..

○

الحصاد

علقت قبرةً على الأحداث قائلة
كانت الأشجار من حجر عقيم
وأسمنت
وكانت تثمر التفاح والأطفال
والشعر السقيم ...
الذى فى نسغه الثوري ألحانٌ لها سمت الجثث ..

○

ذاكرة

صاحب المقهى الجنوبي الفقير
صاح فى غضب :
(كيس أخت هيك عرب ..!)
يذهب الجحش الى البستان مرة
فيعود طول العمر للبيت
ولا يخطئ مرّة ..!
...

وحتى الآن ..
رغم العيشة المرة
وقصتنا مع التاريخ والموت
لم يدرك مشايخنا الكبار
ولم يفهم ملوك الزيت والدولار بعد
سرجنون أمريكا بحقل اللوز وبالنفط
ونكهة سوقنا الحرة ..؟

○

اكتشاف

حين امتزجت دماء طفل (الليلكَي)
بالنبيذ الفرنسي
وبالأشعار البدوية ..
أخبرتني الفتاة ذات الشفاه البنفسجية
إن هذه لأعجب المعارك القومية
فلها قادة بعدد موجات الإذاعة
والجرائد الدورية
ومكاتب الأمن
وأوزان القصائد !

○

صداقة

بلا خجل
طلبت من يحبني علانية
ذاك الذى شاركنى بفندق الحصار

رغيف خوفى ..
طلبته كى يمنع الأعداء عن أغنيتي
ولا يدعهم يمضغون لحم ضعفي
بلا خجل
طلبته فغاص نهر ضحكته ..
على عجل ..
وعن ظلال حائطى إستدار -
وأرتحل ..
وعند حافة احتضار الليل فى النهار
فى استراحة القذائف
وجدته يحرض الصغار كى يمثلوا بجثتى
على مهل ...

○

صراع

ناديت من يكرهني علانية
وقلت فى فخار
نبيل انت فى خصامك الجليل
مبجل فى حقدك الجبار
لأنني أشك أن تدوس جثتي
ما دمت رغم سقطتى
رفضت أن أخاف منك أو استنشق الغبار
ولأن يوماً قادماً يكون

أغرس فيه زهرتي
على جدار قبرك المجهول يوم الانتصار
....
فظل في نبالة يكرهني
بكل جد واقتدار
في بساطة تليق بالرجال وبالأعادي الطيبين ..!

○

غناء

صرخ الفتى .. في شوارعها:
هذا أوان البذل
فاشتدي زيَم .. !)
....
فالجمت لسانه استجابة الخزائن السريعة
والذمم الوسيعة
لكل من يستعذب الدماء
والغناء
اتسعت حدود الصمت والمقابر
حين التقاء بحرها الأخير والقمر
اختلطت معالم المقاهي
حين سدت حلقه الشيكات السياحية
وضاعت القصائد القديمة الوعود
في حقائب السفر...

○

خيانة

نثرت زهر قلبي الحميم
عند التقاء قمة السقوط بالغناء
ورحت فى انحسار راية الوطن
ابحث عن صديقي القديم
فأنهار حصن حبيَ العقيم
لما التقيته فى غبشة المساء
يساوم الأعداء عبر كوة الجدار..
وشق صدري البكاء ...
تفجرت من ظهري الدماء
حيث غاص خنجر الذى أسرَ لى بحبه ..
فى وضح النهار ...!

○

هردبكش

على جدرانها الفسيحة الشرفات
شعارات لها دوي الكذب والفضيحة
وملصقات مشمسة بطول النهار
معلبة لها طعم الليالي الجاحدة
وعلى أسوارها
هتافات ودموع مجمدة
وعلامات نصر أبدى بلا ملامح محددة

مزدحمة مكاتبها الوثيرة الفراش
بأغان مجهدة
ودم بكل لغات العملات الفصيحة
ورغم كل ذلك التاريخ والفخار
لم يستطع طفل (المثلث) أن يستعيد
صرخة الألم الأخيرة ..
حين مزقته براثن الطائرات المغيرة
بين يدى لعبته الممدة ...
عاجزاً أن يتقي مخالب القنابل المسددة
من قاعة المقاعد الوثيرة .!

●

لموعد ومدينة أخرى

إلى سهيل طويلة والآخرين

بيروت – بستان يناسب لحظة أخرى
وقد طال النهار
كانت – نجاة تقول : هذى جنتي
مالي خيار
اللّوز أزهر فى – حامات
وكنيسة – البترون – غصّت بالضحايا
الفاتنات ..
وأنا غريب يا صبايا منذ – صابرا
وزعت حلوى لم تذق طعم الصغار
وزرعت فى – البربير – أغنية إلى الأمطار
أتممت القصائد ..ثم
غيّبني الغبار ..
...
كانت لعينك فرحتان وللقصائد
كان لي حزني تكفنه الجرائد
ضيعت ساعات الضحى بين المكاتب والموائد
وأضعت ليلي ، عند حائط الانتظار
...
ما شكل – تونس ؟
ليس هذا موعدي
أمسي تعثر فى غدي

فأخذت أرقب شرفتيك لعل سوسنة
تعود من الحصار ..!
..
بيروت - أحزان تناسب فرحة أخرى
وقد عدنا بلا شوق إليك ولا وجل
أنت التى زيّنت من دمنا يديك
ومن دمائك وجنتينا ..
فاكتفينا بالعروبة والخجل ..
(العرس فاتحة المذابح) و
(القتل فاتحة الأمل) ..
وأنا أمير يعربيٌ فى مواخير القرائح
والزجل ..
أثبت فيك رجولتى عبثا ، وقارعت الفضائح فى عجل ..
عايشت عند منابت النهدين ثرثرة الفحولة والنصائح ..
يا من سيبلغ (شيخنا) أنى أبيع طفولتى
للعابرين على بقايا جثتى نحو البطولة - بالأجل
..
بيروت - مقبرة وعندى زهرتان
هذي لطفل الأمس ، والأخرى لمن سيجئ بعدى ..
ليقول للموت الذي هزم الفجيعة والتعصب والتردى ..
تبَت يدان -
مغلولتان إلى الظلام من الظلام
ومن الحطام إلى الحطام ..
ورثت عن - الحجاج - حجَته فيتّمت - الحسين
بشمت بأمجاد البلاغة والكلام ..

واثقلت عبر العصور كواهلى فى - بيْن .. بين !
فتعثرت قبل البلوغ رواحلى فى الرحلتين
يستيقظ الحطاب فى وطني ولكني اكتفيت بزهرتين ..
يا من سينقذ قاتلى ؟!

بيروت - أغنية تناسب موعدا آخر .
وهزيمة أخرى وانى مجهد ..
كل السجون هنا وكل الراقصات ..
وكل أرباب الجنود وكل أصحاب القوافل
والنوايا الطيبات
وكل تلك الأنظمة ..
وعدوت حتى ضاقت الحقب الفسيحة
صرخت حتى لوثت حلقى البيانات الفصيحة
أرهقت قدمي استغاثات الضحايا
ماذا تبقى من سكون الصيف لى ؟
ماذا يكنُ الصمت لى .!

ما أجمل النسيان - لو أنى بعثت بأمسياتك
أو عدت خاطرة تمر على شواطئ أغنياتك
عند التقاء شوارع - الكورنيش - بالبحر
المضمخ بالحكايات الجريحة ..
أو عندما ترتاب طفلتنا فتنكر أننا كنا نصدق ثرثراتك
تلك التى كنا نلونها بضوء القلب - نطلقها - تليق بأمنياتك .!

جزيرة بدران / ١٩٨٦/٣

للنيل وجه وللخرطوم وجهان

ليس للبحر ملامح
بينما للنيل وجه ولسان
عدت للبحر غريبا
لوحت لي من ضفة النيل يدان ..!

××

هناك .. هنا
تجلى الإله على صفحة اليم ، التقينا على حافة
الأمسيات العصَية ، قالت : أحبك ! قلت
اطلقينىَ فات الأوان !
لقد كان لى فى الحقول أمان وكنت وليف الأمانى
وكانت بيوت الأقارب تعرف صوت الأصابع إذ
يستجيب الخشب ..
وكنت ألوذ برب التعب
أحن إلى الظل عند اشتعال الأغانى
وارضع من صدرك المستبد حليب الغضب ..
تناءت بنا الحادثات وصارت بلادى بلادا
وقريتنا قريتين ،
وانت هناك .. ونحن هنا
وهاجرت الأرض فينا وهاجرت الأزمنة
فصرت أراود حزن التنائى وصمت التخلىَ
ومن حقل قمحك أرجع صفر اليدين ..
أقاتل ظلي ..!

××

يصرّ الزمان على الابتداء بنا ، ونحن نفضل

رمل النهاية ..
أنيل أنا ؟ ..
وانت هناك .. فمن سوف ينضج خبزا لنا ؟!
(أبحَر) بين الجفون وبين الغناء
حقائب عمرى .. أبادلها الانتظار
(أجبَل) خوف بحار السفر
يحدثنى البحر عن نفسه بجميع اللغات
فلا أع غير هسيس البكاء وأحزان طفلتنا الجائعة ..
وكنا هناك ..

...

تمر السنون على النيل والنيل حرشف فى جلدنا
وكنت أظن لحزنى شفاعة عمر من اللعبة الرائعة ..
وكنا هناك ..

...

تباركتَ يامن كذبت علىَ واعطيتنى قدرة للبكاء
وشعرا بلون المجاعة والفاجعة
وعلمتنى كيف يكون النبات
وكيف ألون زهر البنفسج ، أين يكون ابتداء الوطن
ولقنتنى سر أمى ، وصبر أبى والسفر ..
وكيف يكون أليفاً سكون الحجارة . صمت الزمن
عبور النهار بلا أمل فى قلامة شمس ..
بلا وهلة من صباح جديد ..
وكيف يكون احتمال الليالى بلا صحبة أو قمر ..
هناك .. هنا
تعلمنى كل هذا وتمضى تخلفنى للزمان الخراب
أضيع بأجراس بحر الغزال كما ضعت فى القاهرة

وتسلمنى مرة مرغما ..
لتسلمنى راضياً مرتين ..!

××

صبئت ، كفرت بحبك ، منك أعوذ بنيل السواقى القديم
بآنية الفرح المستقيم وخبز الصباح ..
بنيل الحقول (الشراقى) وشم النسيم .. أعوذ ..
بنيل الطفولة عند التقاء السحابة بالمستحيل النبيل وبالذاكرة ..
أعوذ بنيل الصبايا العرايا
بنيل الزنازين والقاهرة ..
بنيل على كف جداتنا فى الحكايا الملاح ..
ومن صولة الحقب الغادرة أعوذ بنيل النخيل العقيم ، بنيل التلاقى أعوذ
بنيل احتراق التراب الذى كنت قبل الفراق ..
..
بنيل جراح الضحايا من السحب الجائرة ..!
....
أنيل هناك .. ونيل هنا
هما قاتل أم .. هما مقتلان !
أنا كنت فى الليل أعدو واحلم مثل النهار بضفدعة أو فراشة ..
وكنت أموت على عتب الانتظار ..
لعل الشواطئ تستنطق الماء أخبارها ..
ظننت بأنك عدت من المشنقة .
وأنك قمت بعثت من المحرقة ...
...
لتمسك بالمطرقة ..!

بلطيم يونيو ١٩٨٨

هنالك لى نجمة فى الجنوب

(١)

يعود الرصاص إلى
فهل نحن جمر ووردة ؟
أم انحنت الضفتان صعودا إلى حافة اليأس
وللشمس قارعة للمحن ..!
...
أهذا زمان الفراق ؟
...
وكانت لنا والدة
كانت تفرَق بين الطعام وبين السموم
بملعقة واحدة
لتمزج فرحتنا والأغانى بصمت الهموم
وكان لنا - يمنٌ - فى الحوارى
له صورة النجم خلف الغيوم
حين ننام يجئ إلينا على مهرة من جياد الشجن
فننزل للنهر عطشى ونصعد للمائدة
وليلى تجوع بأرض العراق
وفى أرض مكة لا تستجيب صخور الزمن
ومن نيل عينيك يا قاهرة
لنيلين يأتلقان بعينى عدن ..
فيقترب الشعر مني ..
أسير إليك أسيرا قد اخترت حرية الاختيار
أغنى ..

أنضو عباءة فقري عنك وعني ..
أرقص فوق جبال الشآم
يعود الرصاص إليَّ ...
...
فمن منكمو يا رفاقي معي ..
ومن منكمو للزمان عليَّ ؟!
××
خجلت ولم أستجب للسؤال
فطفلي يقرأ ما خبَّأتهُ الصحف
يفهم ما زيفته العيون
ويخشى جنون افتضاح الهوى ..
وكنت أعلِّمه صدق الفراشة
أغنية الضوء
موت العلن
كنت أعوِّده أن يرقَّ لشمس الغروب
وخضت – لكي أستعيذ به من هواي – الحروب ..
أنا عاشق لم يرد ذكره مرة في الأغاني
ولكن أحرف إسمي وعتها حجارة كل السجون
بكل بلاد العرب
أعطيت لون دمي للبحار
ذاكرتي للصغار
شعري لبعض الطغاة وبعض الصبايا ..
قلبي لصحراء – سيئون – إن عدت يوما
من البحر ألا تقول :
نسيت العهود

وفضلَت عيش الهوان وخبز الترف
أبحرت خلف السراب العقيم ..

وقد عدت من - رأس بيروت - رغم حصار الأعادى
وغدر الأقارب
عدت إليك
معي زهرتان لعينيك من أقحوان
تعالي نعيد إلى طفلنا لعبة من خزف
وللغد لون الغرام القديم
فقلبىَ فى ساحة الإنتظار إنشطر
تعالي فكل القرى ارتحلت فى الزمان
وأنت تعضين لحم الشواطئ رغم الجفاف
ورغم السنين العجاف
تنتظرين سقوط المطر
تعالي نرتَق جرح الزفاف
نعلن بدء الفرح ..!

○

(٢)

فإن كان للبحر بيت
وللطفل موجة ملح
وللثائرين السلاسل
وللقلب قنبلة حارقة
فأين نصيب الأغاني ..؟!

...

تعودت ألا أشي بالصحاب
واخفي بقلبى أسماء بعض المدن
لبيروت - بعض الجنون
وبعض السهاد لليل - عدن
وبعض الزهور على - باب توما
وبعضا - لصيدا
فكل القصائد من زهرة - القاهرة ..

...

تلفعت بالنيل والشعر دهرا
تدثرت بالملكات القدامي
وبالطين شهراً ... فشهرا
وبالأغنيات التي خلفت للهوى ذاكرة
تسلحت بالخبز والملح
فارقت - صابرا
وجئت لأحفر إسمى على صخرة بالمكلاَ
ليستيقظ الطفل فى فتيا جميلا
كقطرة طل
كبحر أليف بلا غارقين
كوجهك يا نجمة المدن القادمة ..!

نوفمبر ١٩٨٧

عصافير كفر الشيخ

عصافير على الأشجار

...

هل تدري المسافات
بأن بأوّل الدنيا يجيء الشاعر القيّوم
وتبدأ رحلة (الخِضر)
وأنّ بآخر المدن
تعود مراكب العشاق والخونة ..
وتولد رعشة الأشعار

..

عصافير على الأوراق

..

وكنت أسائل الشمسا
أكانت صرختى همسا
أنا المنبت لا أفصحت عن مجنون أسراري
ولا أفسحت لى وطنا
إذا ما خرّبت داري ..
ولا كنت القذى الدّنسا
فرُحت صريع أشواقى ..
وإصراري ..

...

عصافير تحدثنى ..
ولا أفهم
فقد ضيعَت ألحان العصافير

نثرت الحلم فى حقب المسافات ..
رغيف الجوع للحمقى
وزهر الموت للشهداء أبطال الجنازات
وعدت بلا إجابات تؤرقني
تعربد فى أسئلة
تمزق فىَ أوردة العصافير ..

عصافير ..
ولا تغريد
وشمس نصف دافئة ..
وأغنية بأوزان ملفقة
وسور حديد ...
...
وكنت هناك ..
وضعت بحافة الشباك صورة قريتي الأولى
وهمسة شعري الأول
ورعشة قبلتي الأولى ..
ورعب الرحلة الأولى ..
وغدر الصاحب الأول ..!
...
وقلت لصاحبى الأبدىَ :
هذا كل ما أملك ..
فحوّل وجهه عني ..
وراح يدوس أعشاش العصافير ..!

كفر الشيخ / القاهرة ١٩٨٥/١

بيروت أول مرة

ودخلت في بيروت

تعلمت فيها صلاة الجماعة
طقس الكراهية العاشقة
...
هنالك ليل سقيم العبارة
أُلفتُه صاعقة
وآهاتُه نثر شعر وقنبلة حارقة
من الجوع تولد
للبحر ترحل فى الأغنيات
وفي جسدى وردة عالقة
نبيذ عصيّ ونصر أكيد ، بعيد ، وماء ..
...
تعلمت فوق قبور الضحايا
رحيل الأساطير بين سطور البيانات والملصقة
تعودت كره الأعادى ..
تعلمت أن أكره الأصدقاء .
...
هنالك خبز الولائم فوق المنصات ..
شعر الولائم فوق الموائد
شوك القصائد
أكل - خوف رجوم الصواعق ..
خوف إبتسام العداء ..!
...
تعلمت ألا أجاهر بالحزن حتى على الميتين

وألا أجاري طقوس الغناء
ولا أستحي زفرة القهقهات
وكل القبور بمرمى الحجارة كل المواسم
قبض الهواء ..
تعلمت كيف السحابة تبكى أنتهاء الرحيل
تعلمت ..
أنى أظل وحيداً بكل الفنادق
حتى قلوب الرفاق ..
...
هنالك نهر بلا ضفتين ..
بطيء الليالى عديم القمر
وصحراء لا تتقن الإنكفاء
ولا تستجيب للون الشجر
يصب العشيق على الخصر والصدر زبر الحديد
ليمنع يوم القيامة خسف السماء
وسخط الجوارى
ونفط النبوة والفقراء ..
...
تعلمت كيف أجادل فى الحق هوْنا
وكيف وان كنت أدرى .. أسائل ..
وكيف أحاول ما لا يكون ..
وكيف أكون ولمأ أحاول ..
...
ولكننى رغم كل المشاغل والقارعات
نسيت ..

فلم أدر يوم الكريهة كيف أقاتل ..
هنالك يقتتل الشعراء
على شاطئ الموجة الراحلة ..
على ومضة النجمة الآفلة
على ما تناثر من عمرها – الوردة الذابلة ..
على سم أغنية قاتلة ..
فيستأثرون بكل البقايا
وكل البغايا
وخبز الضحايا
وما خلَف الرعب بالقافلة ..!
...
تعلمت أن أقرأ الصمت فى وجل صامت
وأن أبدى الرأى فى خجل ساكت
وأن أستبيح عروش الملوك
وحزن السبايا
وفقر الشعوب
وظل الأزاهير والأضرحة
لكي يستبيح دمي القادة القادرون
وصف الجنود
وأصحاب حق التواقيع
والمخبرون وأهل الدهاء .
...
فكنت أحاول صمت البحار
وكنت أحاول وعد المطر
فكانت تحاورني الأمنيات

يحاولني فى المساء الضجر ..

...

تعلمت فى الليل أن أبصر الشمس وحدى بلا أجنحة
ولا أبوح بسر التجليَ
ولا سر عشقي - للأغبياء

...

هنالك كانت طفولة ..
وكانت على الباب سنبلتان

...

وأغنية من بقايا غرام قديم
وكانت رسالة عشق تفوح من النافذة
وتلميذة فى ثياب الرجال
تضن عليَ ..
وحب يسمى - ندى
وفارق سن مهول ..
يحول هنا دون لمس اللقاء وهمس الجداول
ينكر شعر الهوى
ولكنه يتقن الإنتماء لبيت فقير يحن إلىَ
... وكانت بطولة ..!
وكانت هنالك فى الصبح شمعة
مراهقة أخطأتها الرصاصة
وفى الظهر كنا -
إذا ما التقينا ..!
مع القصف نقتسم الكلمات

وفى الخوف قبل أفول النهار
نلملم ظل إبتساماتنا العابرة
ونبحث عن سكة آمنة ..
توصلنا لبقايا القرى ..
ليسترجع الليل منا وعود البكاء ...!

بيروت ١٨/٤/١٩٨٢

●

سفر التكوين

فى البدء كان الصمت وكانت صخرة فى البحر
تمخر العباب
فقالت الأرباب كونى . يا سيناء
مدخلاً للرعب، سنبلة للحب، عصرا من الجنون
أو حنظلة لرحلة العذاب إن أردت أن تكونى ..
...
امتزجت فى غيبها العناصر ..
...
واذ رأى آمون فعله إنتشى
بالزهو والشراب
ثم استوى على عروشه مفاخرا
وهام فى آفاقها مسافرا
مرتديا حلته الحربية المقدسة
على يمينه السلاحف الحكيمة المقربة
وعلى شماله الألوف من كلاب بحره المستأنسة ..
وقناديل مائه العقيمة المدربة ..
...
رفَّ فوق عميق المياه طائرا
أوغل فى أحشاء البحر مبحرا
وفى أوردة البرِّ بات بانيا مدمرا بلا حساب
مآخيا بين هزيم الموت والرياح
بين السحابة والقرى المعلبة

موزعا همومه الجميلة ، عشقه للخلد ، أحلامه
عصوره الخراب ..
على الأسماك والديدان والحجر ..
لكنه فى عنفوان لهوه ألقت به تفاحة الشراب
مرهقا أغفى من الضجر
ففاته أن يذكر الإنسان
أن يرنو بعيني عطفه لصغاره
فى صورة البشر ..!

○

سفر العصيان

فوق أرضه عزيزة الوضوح والوهاد والقرى
طلبتُ عطف عصافيره - والمرح
فمزقت جلدي الغربان من جنوده وشعبه المسلح .
....
رحلت نحو مواجع الأجداد دون إذنه
أبحث عن لآلئ الطفولة العصية
عن آهة العشق المفاجئ
عن هوية وملمح
عن وطن قذر هذا - بسيط ..
وأنشودة من عناد مجنح ... !

○

سفر المصالحة

كانت الأسماك تلهو فى خليجه
وكانت الجمال كلها وئيدة تسير نحو تبة الهزيمة
لايروعها ضجيج الطائرات الأجنبية ..
ولا الوجوه الغريبة السمات تحتمي
باسمه وتحتفي بمجده .. بهِ
فى وديانه الخفية ..
...
وتحت سمعه وعينه
هناك فى المسابح الأليفة المؤمنَة
على الشواطئ المهجنَة ..
كانت فتيات (الكيبوتز) بعد مدحه يدخنَّ
حشيشه الوطني ..
ويرقصن على أنغام عصره العبرىَ
يأكلن من خبزه ومنّه وملحه .

○

نشيد

كانت دروب عشقنا شقية الخطى
بقدر علمه
وكانت الرمال ذات مرة سخية
وكنت قدْر سني ..
وقدر وهْمه ..

من هذه التى على شواطئ المرجان والخديعة
عارية ترقص فى محرابه
لمستحيل جرحها وجرحه ..
لليلها الطويل -
نيلها - تغنى
تسخر من حماقة الوجيعة
ومن وجوهنا الريفيَة الملامح ..
تسخر مني ..ومن وعوده ...

○

سفر القيامة

للحرب دقت الطبول
أرخيت للمدى المكسور فى جوانحي
أعنة الخيول ..
وهبتها من الدماء ألف ألف أو تزيد من جوارحى ..
رقصت نشوة بالموت فى شعابها
وعلى جبالها المسننة
وفى وديانها المسبيَة المدجنَة
سابقت حتى افقها المجهول ..
صمتها الجهول
حزنها
غيابها
عذابها
ألفت فى سكوتها العييَ
قسوة الجفاف والجهامة ..

لكننى آثرت للسلام
سكة الندامة
وعندما تجدد الطراد فجأة
حلمت بالقيامة
وإذ رجعت من جحيم الصَيد صفر الكف
خالىَ الوفاض ..
رأيت طفلها النبيَ باهت العلامة ..

○

مزامير

كل الأغانى لم تعد جديدة
ولا الفضائح
..
تحت سماء الصمت والأحزان والصلاة
أفتقد الأوطان
صريحة الحدود
حادة الملامح ..
..
الأفق مالح
وبدّل الإله قِبلة المصالح ..
..
وكانت الرياح تحمل الوعد
والجنود
والمشاعر الخفية

مثقلة بالرعب والوعيد
والأوامر السرّية
للافتات من حروف أجنبية
وأسلاك شوك ..
ومذابحِ عربية ..!
..
وظل ذاك البحر غير آمن
وحيداً ..
برغم كل الزرقة الفريدة الروائح
وكل ما قدمه الإنسان يا آمون
من ذبائح ..!

○

سفر الصبر والصلاة

أنا وريث العرش والرمال
والمواكب العظيمة
وكل ما لقنتنى من كتب قديمة
...
اليأس ليس ديدني ..
لكن (ريما)
بكيتها فى الحلم مرتين
فاحترس .. لأننى ..
لطول هذه الجريمة ..
أصبحت أخشى حسرة البكاء
مرة أخرى ..
على أحلامها التى .. قتلتنى هزيمة ..!

شرم الشيخ ١٩٨٤

أربع قصائد حجرية موجهة الى زجاج القصر

(١)

عبر نوافذ سبتمبر الخريفية المهمشة
أطل الكذب حاداً وقاطعاً
كحبل مشنقة
وتدلّي النيل فى كل الخرائط مرهقاً
معلقاً كشارة مزيفة فوق جبين القيصر
...
كيف يمكن للأزهار أن تعلن الإضراب ؟
...
الأوهام ذات الساقين لا تمل البحث في الطين -
عن الخبز والبطاطا
وعيون الخنازير المدعومة بالقنبلة النيترونيَة
تبحث فى داب بين صخور التاريخ وفي بقايا القمامة
عن المنشورات السرية - دون جدوى ..
وابتسم رئيس الجمهورية للعدسات التليفزيونية ..
ليهين القرن الواحد والعشرين
ويفاخرنا ..
بأنه لم يفضّ بكارة أى كتاب ، ولم تلوّث معدته الموسيقى .!

○

(٢)

أيها الجنرال الديمقراطى العظيم ..

خزانة ملابسك العصرية الرائعة ..
تليق بكل الجرائم التاريخية ..

إرتد ثياب قائد البحرية
عندما ترغب فى التهام السمك المشويّ ..
وحين ترفض أمرأتك الذهاب إلى الفراش الرسمى ..
ضع على صدرك كل أوسمة القادة من عنصرك الفريد
واخرج فى صخب الألوان إلى الميدان الشعبىَ ..
وعلى ساق الكركىَ، إذهب للجامع بثوب الكهّان
وبسيف الفرسان وبزّة الدركى لمجلس الشورى
وللسهرة فى ثوب الوالى التركى ..
فأنا أدمنت أن أراك - سيدي - مهيباً
بكافة المواسم ..
حتى بتلك التى تتجمّد فيها حقولنا من الخوف واليتم
والولائم المعطّرة ..
لأنفجر داخل فقاعة إبتسامتي السرية ..
عندما تغيب فى الظلام بعد كل مأثرة ..
وأراك عارى المؤخرة - كدودة ملكية ..!!

○

(٣)

أيها الوطن ..
أناشدك أن تكف عن الالتفات إلى الخلف
وارسل حربة أحزانك المسنونة نحو قلبى
فأربعون فى المائة من شهدائك يموتون :

لأنهم مازالو حتى الآن ..
يشربون من مياه النيل !!
والنمل المستأنس ..
إلتهم حتى الموت عيون طفل امبابة
لأن أمه غافلت الإذاعة ..
وذهبت تبحث له عبثاً عن جرعة ماء غير ملوثه ..!

○

(٤)

كل الرجال موعودون بالقضبان والأغانى ..
كل الجنود منذورون للموت ، أو الخيانة
كل الملوك - بلا هوية
كل الصحاب تنكروا لرغيفي القروى .. حتى ..
ذلك الذي ينسابى فى عروقي ..
...
كل أيام الطفولة أنبتت شجراً عقيماً ..
وجميع أهلك أورثوا أحلامنا ألماً عظيماً ..
...
كل البحار تفيض إذ يبكى الوطن
..
كل النساء تربصت بى فى عيونك
إذ كان دربي نحو قلبك .. مستقيما ..!!

دمشق سبتمبر ١٩٨١

●

ميت سلسيل

رحيل في مسافات الجراح

للقلب أشجار وللأشجار أغنية ..
ماذا تبقى من خرافات الهوى ..
الأرض مثقلة
بآهات الجوى ..
والصمت راوية لأحزان الصغار ..!

حين خُنت الزهرةَ الأولى ..
توعدنى المطر ..
فانتظرت الرعد محتميا بأوهام الضجر ..
قلت للحلم .. أجرنى ..
وتركت القلب نصفين على ظل الشجر ..!
...
أيها الجرح الذى لم يندمل ..
أى رعب سوف تحمله إلىَ ..
أى ذاكرة ستصحو
من أساطير الهوى فى خافقىَ
أيها يغفو على صدر القمر ..
غافلا .. عن ذنبى المقدور
بالغدر علىَ ..!
كنت فى المهد صبياً عربياً ..
عثر الخطوة نيلىَ الملامح ..

حينما شلِت صليبى
واستخرتَ الحب .. فاخترت السفر ..
ايها القلب المسامح ..
قريتى كانت تبادلنى رحيلاً مستحيلا ..
تحتمى منى بإفشاء جنوني ..
وأنا أنشد عينيها واستجدى ظنوني ..
مفسدا ليل التراحيل النبيلا ..
بصباحٍ ليس يأتى ..
ورضاً عذبا ذليلا ..!
...
لُذت بالوعد القديم بقبر أمي ..
تائبا ..
فازورَ عن ظلىَ الشجر ..
...
أيها الخائن للزهر وللأشجار
رد السيف عني ..

قدم الأزهار
مرهون بدمىَ ..!!

أشرف وعودة السندباد

ويوم كنت فى مدينة النحاس
سمعتك يا ولدى فى جوف الجب تنادينى
فتفتت كبدى
وهرعت من النوم إليك
لكن الشرطة والحراس
كانوا دونى وعيونك ياولدى ..
...
كانت رحلتى الأولى
كنت صبياً ، ريفياً ، عذبنى عشق البحر
وأضنانى ظمأ غجرى للترحال
سكرتنى خمر الآلهة وأغوتنى جنيات الشعر ..
وفى بحر الأحزان البشرية ألقتنى
كم عانيت وكابدت الأهوال
لألحق بالكلمات
ولكنى لم يرهبنى الموج
وكنت إلى البحر أعود
ما خفت ركوب العاصفة
ودوما للبحر أعود
بى عطش وحشى لايرويه التجوال
وبى أشواق أبدية
حلم اسطورىّ
وهموم قروية

ترتحل بأعمق أعماقى أحزان بلادى
تتغذى من لحم القلب بصدرى
أحلام الأطفال
....
وكانت رحلتى الثانية :
وفى بحر الظلمات تلكأت السفن
وحاصرنا جبل المغناطيس
وفاجأنا الإعصار
فتفرق رهط البحارة ..
لكن وجهك الحبيب لاح
مثل نجمة الصباح
تشع بالضياء
حيث ترتقى المياه حافة السماء
ظننت يابنى أن شاطئ النجاة قد بدا
إذ لوحت لنا أنشودة الثوار
بالزهر والأشعار
وعبر غابة الدماء والجراح والألم
تقدمت طريقنا إلى الديار
لكننى طُعنت فى الصباح غيلة
فعدت للبحار ..
...
ولما كانت رحلتى الثالثة :
أتانى صوتك فى أعماق الجب تنادينا
انفطر القلب وذبت حنينا
وددت أن أدك قلعة النحاس

وأن تكون لى على الجدار والفولاذ
قدرة الجن
أو تكون لى حقوق السحر بالولوج
والنفاذ
لكى اشل قبضة الغيلان
أهزم الحراس والخصىَ والنخاس
لكى أعود مثل خاتم الجنى فى يديك
- شبيك يا لبيك
فاطلب وما تريد يابنى ..
عمرى فدا عينيك
تأمرنى .. اجوب بك ابعد البحار
نغوص خلف اللؤلؤ المكنون فى المحار
نركب ظهر الرخ
نمتطى الجياد فى السهول البكر والقفار
وفى بلاد الهند عبر السند
نركب الأفيال
ندفن غول الليل
نستقبل الأنصار بالغناء والنشيد
لنشهد انتصارنا الأخير ..
تأمرنى ..
نعيش : لحظة الميلاد للمواكب المجنحة
للعالم الجديد للمدن الرائعة
نشهد طلعة النهار من ظلام اليأس
من رماد الفاجعة ..!
...

تأمرنى .. أطيع
لكنه إذا تأخر الربيع
فلن أضل يابنى فى البحار أو أضيع
تأمرنى ..
نخترق الغابات والصحراء مثل الجن
نعبر الخلجان
نشق ظلمة العباب
وتحت وابل المطر
نأسر فى عيوننا عرائس الأنهار
تأمرنى ..
نتوه فى مزارع القرنفل
وفى جزائر المرجان والأزهار
نصعد الجبال
حيث يولد الجليد
نسرق من مغاور (الاوليمب) سر النار
نشم عطر الموت والخلود عند سدرة الإله ..
تأمرنى ..
نصارع الفناء والخطر
نعب خمرة الحياه
نشق ستر الليل والظلام والضباب
نكشف عن خبايا العالم القديم كافة الأسرار
نمزق القناع عن جبينه المنهار ..
تأمرنى
نلحق بالثوار والأحرار

نحشو لهم نجهز البنادق
ننام فى قرى الزنوج أو نبيت فى الخنادق
نكمن عند آخر الطريق
موعدنا هناك
حيث تشعل الجياد حافة الأفق
وحيث تولد الرياح
وترتقى المياه حافة السماء
إذ يشيد الإنسان للأطفال المدن الرائعة
يوم أعود يابنى متعبا
مع الصباح
من رحلتى السابعة
لأستريح فوق صدرك الحبيب !

●

العودة إلى عيون فيروز

وها قد عدت يا فيروز أغنية على بابك
لأقطف حلو عنابك
واسمع صوتك الفيروز
يهمس لى فيشجينى :
« .. هنا مقص وهنا مقص
هناك عرائس الأحلام تترص ! »
لقد عاد الذى يهواك - بابا الكرش والشنب
فهاتى حضنك الدافى ومدى كفك الأخضر
يزيل عناء رحلته
ويفرش درب عودته
بعطر الفل والزعتر
فيا أحلى بساتينى
بأجمل ما يحل الشوق للغياب ضمينى
لأرجع مرة أخرى
ضحوك الوجه : لا يأس ولا تعب
أنا قد عدت يافيروز طفلا أنت تهوينه
لنلعب نطة الحبل
نطارد طائر الحجل الذى أنت تحبينه
وندعو النيل كى يحمى أمانينا
ويبعد عن احبتنا من الأحزان ما نكره
واسمع منك غنوتك : تعا بكره
فيغرقنى ببحر عيونك العسل
يفجر فى دمى الشعرا

فتنبت بيننا الفكرة
وتأتى عندنا الأشجار والأنهار والجبل
فنجرى نطلب البحرا
نصيد السمكة الحمرا
ونلعب فى حقول الريح نملأ كفنا مطرا
وأسرج من ضيا زيتى قناديلك
فتحكى لى حواديتك وأحكى لك :
كتاب الثعلب المكار والعنزة
وعم الراجل الحرات والوزة
وندخل بيت صاحبتك
عجوز القرية (اللى طولها) إصبع
وصاحبة الخروف الماكر العاصى
وأخت الزحلف الأصلع
صديقة حبة الفول التى تمشى على أربع
فنكمن خلف باب الدار
ننظر حين يأتى الذئب
محتميا بستر الليل نضربه
معا فى الحوش نحصره ونغلبه
لتحيا الست فى أمن
وتزهر خضرة الغابات والأنهار والمدن
ويحيا الكل يا فيروز
فى دنيا – تبات ونبات
ويرسم كفك الوردى أحلى ..
آخر الحكايات ..!

للأحجار أجنحة

تبارك من بري الأحجار   من صمت فعلمها الكمونا
تبارك إذ مضى يوحى إليها   يطهرها لتآبى ان تخونا
يخلقَ فى جوامدها قلوبا   نوابض ترفض الحزن العقيما
ويحميها إذا سقط الجدار   ليسكنها المدار المستقيما

**

فلما جاء طفلتنا المخاض   وهزّت جذع نخلات الهزيمة
وذاقت مر فاكهة التعصب   أتخمت خطباً عقيمة
تفجّرت الحجارة صارخات   سئمنا نعل أحذية الجريمة

**

فيا قمم الملوك إليك عنا   ويا همم الصغار بعثت فينا
وقومى طفلتى مدّى يديك   نلوذ بدفء ثوبك دثرينا
وياسم الأرض هبّي إقذفينى   أمزق ما تملّكنى سنينا
أشق بمخلبى أستار ذلى   لقد عاهدت قهرى لن ألينا
أنا الحجر الذى طفل رماه   بوجه زمان خيبتنا اللعينا
حرقت حبال إذعانى وصبرى   أزلزل غفلة المتصامتينا
واجلو وجه ما أخفى التردى   وأطلق ألسن المتغافلينا
أنا الآتى كأنى عدت طفلا   حزينا أبهج العصر الحزينا
لجأت له ليرسلنى جهارا   ويشعل طاقتى عرقا وطينا
أدك عروشا ائتمرت بليل   وانظمة طغت فحينا فحينا
وأغضت عينها رعبا وعاشت   فسادا وارتخت ترفا ولينا

أعيد لوجه شعبى ناظريْه	فيبصر ومضة صارت يقينا
تفجر شمس غزة فوق طابا	تعمَد فى الجليل تراب سينا

**

أنا حجر .. أنا طفل وشعب	هزيمتنا - أبيت اللعن - فينا
خرجنا من تواريخ التحدى	يوحدنا جحيم الظالمينا

**

فمن منكم له حجر كقلبى	أسر له ندا الأرض العظيما
لينزعه من الصمت انتزاعا	ليسكنه المدار المستقيما -

●

المنصورة

صوت... صدى..

أحمل بنفسك أغنياتك للمدى ..
لا شط سوف يحنّ لك
أو زهرة تحنو عليك ..
ولن يجيبك فى صحارينا صدى ..
صمت
وخلف نميمة الأصحاب فى المقهى مواءمة وصمت ..
صمت
وفى الحزن المحاصر بالتفاصيل الصغيرة
وانشطار الروح صمت
صمت ..
وخلف تداعيات الشعر .. موت ..
أى المرافئ تستكين لها غدا .. غير التراب
وكل هذا الضوء .. موت
خذ من رصيدك ما تشاء من الحروف ..
ومن حروفك ما تشاء ..
كلّ له فلك ..
وكل يسبحون إلى مدار الإنحناء
إذ ليس فيهم من تمرّس أو تمرّد أو تجرّد
من شقاء الاشتهاء
(نون) على أفق الفناء ترصّدتك
وأوكلت بك أخريات ، بعد أن (ضحكت عليك) ..!
صمت ..

وخلف الصمت - صمت لا مراء
كل الحروف الكاذبات لهن عشاق مجنحة الغباء
كل العروش لها سجون لا قصائد
ماذا سيخرس عنك ألسنة الظنون / على الموائد
أو ذكريات الأمسيات الخائنات
ولعنة الأمس الخئون
أرض على وشك الجنون .؟
واخوة لا يفقهون .؟
فى البحر متسع وللصحراء غائلة وقاتلة تكون ..
صمت ..
وفى الصمت الردى ..
فاحمل بنفسك أغنياتك للمدى ..
لا عذر بعد الصمت لك ..
إذ ليس من حرف سيقبل أن يرد لك الصدى ..!!
××

قصائد غير شخصية

نخيل عبر نهر النيل لا يرحل

إلى فلاح مصرى تعلم القراءة والكتابة
والحساب إسمه عصمت سيف الدولة

أطالع وجهك الأسمر
كظل مواكب التاريخ منتصباً على النهر
يراقب دورة الحكام والأيام والحجر
وينتظر إمتزاج الرعد بالإنسان والصخر
فأوقن أن حزن الشعب كالفيضان .. إن يأتى
سيكسر حدّة الصمت
ويعبر حاجز الموت ..
ليصرخ فى حقول الريح مبتهلا إلى المطر :
عبّرت الجسر رغم حصار أعدائى ،
وطالت سكة السفر ..

حملت إلى ضفاف النهر قصتنا الشتائية
أقدمها لقرص الشمس قرباناً وأغنية
أتتنى الريح من أقصى صعيد القلب والوطن
تؤكد أن شريانا بقلب العصر ينفجر
ليكتب بالدم الفقراء فوق مقابر الكهان والمملوك
والوالي، ونصف القيصر المجنون أشعاراً
مواويلا صعيدية
تقول بصوتها العسلىّ للأشجار والزمن ..
بأنّا فى بدايات الشتاء تواعدنا مع الأيام ..

أن نبكى ..
نلون من عيون الليل أزهاراً
إلى الشهداء والأطفال -
فلاحى حقول الملح والمرضى ..
وأنَا منذ ذلك الحين نصنع خبزنا ونجوع ..
نسوق الماء نحو البحر - نحو مخادع الحكام - موجاً
إثر موج من دموع ..
ونحفر فى الحجارة والتراب معابداً للموت ، نأكل
من عظام السابقين
ونجد الوقت - بعض الوقت كي نفرح
ونخفى فرحنا عنهم .. ولا
نبدى لهم إلا مخاوفنا البدائية ..
لأنَا غيرهم أبداً ..
يمر بنا فراعنة وأيام مرور العابرين ..
ونحن هنا ولم نفنَ
وحتى الآن مازلنا على الشطآن ، رغم تواكب المحن
نخيلا أسمر الوجنات منتصباً على النيل .!

فيا طفلا صعيدَياً
أتيتك من مجاهل قريتى البحرية الشرفات ، كى أشدو
على أغصان قريتك التى بقيت على الجدران ، تقويماً
وتعويذة ..
تؤكد أن هذا الشعب ..
ليس الصامت المنسَي فوق نوافذ الزمن
ولا ذاك الذى فى القبر والتابوت ، تشهق فوقه

فتيات شيكاغو من الوجد
ولا هذا الذى كنا رأيناه ، يظهر السوق معروضاً
على التجار والجند
ولا المرسوم فى الصور البريدية ..
ولكن .. ذلك الفلاح طفل الجوع والأشواك
والغضب
يهل على خيول الليل ، رعباً للذي يطغى ..
فيهتك ظلمة اليأس ..
وليس بكفه الجرداء غير الحلم .. والفأس ..!

أطالع وجهك الأسمر
فأومن أننى للطين ، هذا الطين أنتسب ..
وأنى ذلك الطفل الذي سيقوم منفلتاً من الرحم
الذى أجدب ..
تجمع أمه الأشلاء فى وهن ولا تهدأ ..
ليبدأ دورة أخرى مع الفقراء ، يشعل ضفة النهر ..!

نوفمبر ١٩٧٩

●

بسمة تزهر في حقول الفقراء

إلى نبيل الهلالى
المناضل الإنسان والصديق

يحمل الأطفال فرحتهم إلى بابك
ويعلقون قلوبهم ورداً على شباكك النيليّ ، يرتحلون
خلفك نحو مصر القادمة ..
ويهرول الشعراء نحو الواحة الشعبية الكلمات فى
عينيك - تحملهم إلى شطآنك الريح الطليقة والقصائد ..
وأنا - أخوض الليل والزنزانة التى وشمت على كتفيَ
منذ وعيت أشواق الحقول ،
أتسلق الكثبان ،أخترق الحوائط ، أستحيل خرائطاً
مصرية القسمات والأنهار والرؤيا ..
أذوب فى الفيضان ، فى الجدب أصلى ، مرسلا صوتي
كدقات الطبول ..
أقول :
هذا صاحبى ..
واليه ألجأ من مخاوف ما سينطقنى فمى ..
وأنا مزجت دماءه بدمي
وسهرت أنتظر انتصار المعدمين ..
خاب انتظارى مرتين ، وما مللت الصبر ..
لكنى كرهت تعاقب الزمن الكريه الرائحة ..
وسئمت أحزان الرجال المتعبين
ولذا مضيت وراء مواكب الأطفال ، مبتهجاً إلى بابك

لأطرز القلب الذى أضناه جدب الأرض ، أغنية
ومنديلاً وحقلاً من سنابل ..
يعدو به فرحى إليك ، وأستريح ..!

رقصت بلابل قريتى حين أنتسبت إلى إبتسامتك
التى عجز الأعادى عن هزيمتها ، فظلت تبعث
الدفء بساحة الفقراء والمدن الصغيرة ..
وتجمّع الأطفال حولك ،والنساء الضيقات الرزق
والعمال فى رحم المصانع – يسألون :
أي أحزان دعتك إلى رغيف الكادحين ..
ونأت بقلبك عن مجاعات الملوك المترفين
أى أفراح دعتك إلى القرى عبر الفصول ..
وتوجتك مسافراً عبر الحقول الضارعات
إلى المواسم ..
يارفيق الشمس والبحر وأزهار الملاحم ..
أى حلم كان يستهويك طفلا.؟
أى حلم كان يغريك بخبز السجن ، بالحب
الذي ينساب خلف النهر نحو منازل الفقراء
والزمن الملون والأغانى الآتيات ..

أى حلم كان يغريك بجمر النار ، بالريح العواصف
بالشموس المحرقات ..!
أى حلم كنت ؟ - لا أدرى . : ولكنّي أوقن ..
أن يوماً قادم لابد يحملنى إلى الشعب الذي
أعطاك إسمه ..

ألقي على عتبات بيتك كلّ ما يرهق قلبى ..
أشكو إليه – إليك أحزانى وبأسى ..
أدعوك أن تجلو أمام جحافل الأعداء والأصحاب شمسى
لتحصّن الأشعار من أوهام يأسي ..

أى حلم أنت ؟ .. لا أدرى .. ولكنيَ موقن ..
أننى يوماً سأخرج من ظلام التيه ، مهتدياً بنجمك
للخلاص ..
لأشارك الأطفال والعمال ، فرحتهم على بابك ..
وعلى الطريق أسير منتشياً
ألوّح للوجود
أفاخر الدنيا ..
وأذوب فى الفيضان فى الجدب ، أصلي ..
مرسلا صوتي كدقات الطبول ..
أقول ...
هذا صاحبي ..
هذا رفيقي ..
شاركته الخبز الفقير فهان جرحي والتأم ..
وشكوت ما أثقل قلبي ..
فابتسم ..
فحملت بسمته إلى جدب الحقول ..
فأزهرت من دفء بسمته الحقول .!

باب الخلق ١٩٧٩/١٢/١٠

مرثية ليست للبكاء على زكى مراد ..!

الموت يوقظ ساحة الفقراء ..

هذا شتاء بائس ، يبدو عليه ..
صباحه عكر مرير
ومساؤه بالحزن صار فجيعةً
والفرح فيه كنوبة الحمى .. قصير ..

الموت دق خيامه فى ساحة الفقراء ...
يا أيها الفقراء هل لي منُ منازل ؟ ..
إنى ملكت الأرض والدنيا وفاصلة الكلام
ما كنت آتى فجأة ..
لكنني كالريح أقبل كالوباء ..
كعلامة الحقد التي بقيت بذاكرة الفراعنة
الأواخر والأوائل !

الموت عض على نواجزه وصاح ..
هل من مقاتل ؟ ..
إنى رأيت رؤوساً فى القرى ، نضجت ..
آن الحصاد فهاتي منجل الغدر !.

الموت أسفر عن هويته سفور القادرين
وراح يوغل فى التجني ..
ويحط من قدر القرى ويشق صف الكادحين

نشر البنود الزائفات على الصواري
ومضى يجوس خلال أسواق المدينة والدروب الجائعات
مفاخراً بين الجنود
هذي تباشير القتال وتلك قارعة الوعود ! ..

أو سوف نمضغ حسرة الموتى ، ببائسة الحواري ؟.
ونبيت نبحث عن تعاويذ لتهدئة القلوب ..
وصكوك غفران لتبرئة الجناة
ونفر رعباً من منازلة الرعود .. نفر من هول الحياة ؟
أم سوف نبصر ما وراء مواكب الموتى
وظل المخبرين .؟
ونعى بقلب عاشق همَ القرى ..
وجريمة الحزن المطارد عبر سيناء إلى عقر الصعيد ؟!

○

معكم أعيش لآخر الأنفاس

هذا شتاء بائس ، عيني عليه ..
الفرح فيه كلمحة الذكرى ، كذاكرة الضرير
والحزن يولِد جثة الفقراء
أطفالا كوجه الزمهرير ..
هذا .. وأنت مضيت تستدعى المطر...
ليبارك الفرح المقاتل فى الدروب ..
وأخذت تشعل عند أطراف المدينة والقرى ، نارا ..

وتجمع من حقول الكادحين جذور ما زرعوا ، وما صنعوا
لتصبح شمسهم دفءاً وأغنية ، تقود الخلق
عبر متاهة الليل الكئيب ..
لكنه العام الرهيب
وأنت قربان إليه ..

قلبي على أنفاسك الأخيرة ..
عيني على دقات قلبك الأخيرة ..
وأنت فوق قمة البداية العسيرة ..
تحس خنجر النهاية ،
يشق للعدو منفذاً إلى أضلاعنا الفقيرة
الفقيرة ..!

فكرتَ فى أطفالك الأحباب أم فكرت فينا ..
وذكرت ما قد عوّدتك عليه رحلتنا .. وأزمتنا سنينا ؟
أم كنت ترحل خلف ذاكرة الوطن
وتلوّن الدنيا بأفراح صغيرة ؟!
هذي المدينة تنكر الأبناء ، لكن لست أكرهها ..
وان عانيت حينا ..!

- أحببتهم أبداً .. وكان البعض يكرهني .. ولكني ، أسامح ..
إن تمتد أيديهم لأيدينا ..
أو هذه الأشجار .. أذكرها ؟ .. أظن ..
تتشابه الأشجار فى كل الأغاني ..

من واحة المنفى إلى الجرن الذى ، صارحت فيه الناس
بالحب الذي ، أثقل قلبي .. وأنا بعد .. صغير !
آه .. آاه ...

- هنالك طفلة عبر الطريق ، وطفلة بالبيت ..
والجرح مازال بسيطا ..
- ولكم وددت من زمان أن أكون شاعرا ..
ذوبت نفسي فى مياه النيل عاشقاً ، وساحرا ..
شكلت من طين الحقول .. عرائسا
خمرية الملامح ..
ثم انطلقت فى حدائق الزمان والمكان ..
حائراً .. مهاجراً ...
وكان قول الشعر فى حبك يا مصر جريمة ..
فغزلت من قضبان سجني ما وعدتك من قصائد
وعبرت نحوك كل تلك البيد
أروى غُلة للحب صاديةَ
لكنني أبصرت نهرك فى يد الأعداء مرتعش الضفاف ..
مكَبل الكفين
معتكر الوجوه .!

- وكان أسلم أن أعود ..
- أكان أسلم أن أعود ؟! .. حقيقة ؟! ..
لكنني حملت بالأمل الشقي مراكبي ،
حملتها أمنية مصرية الدماء والجوانح ، وخلقت منها
أحرفاً عربية الكلمات

لها رنين الطبل فى الفرح الفقير .!
- خوضت فى مجاهل المدائن المجردة ..
طرقت فوق صلب أضلع المصانع والمزارع بالأغانى المجهدة ..
حدثتها عن كل ما أثقل عمرى ..
حدثتنى عن متاعبها ، وأصبحنا أحبة !.

- هذه العربات ترهقنى وتسلبنى دمائى ..
- ما أجمل الأزهار حتى فى المقابر ..
- أي حزن سوف أتركه ورائي ؟!

أنا ما نكرت هويتى أبداً .. ولا أنكرت دينى ..
وزرعت فى كل الحقول بشارتى ..
وقرأت فوق مقابر التاريخ أنشدتى ..
ودخلت كل مدائن اليأس المدجّج بالسلاح ..
تزهو بكفى راية حمراء .. واضحة المعالم والملامح
لاتنكسها .. رياح ..
ولقد هُزمت للحظة ، ويئست مرة ..
وتخلّف الأصحاب عنى ذات يوم .. حين كان الموت
يرصدنى ، ولكنى نجوت ،
كسَر الأعداء سيفي مرتين وما كبوت ..
وراح بعض الناس يبتكرون أعذاراً لتنكيس الرماح ..
وقد غفوت ، وطال ليل اليأس ،لكنى .. عبرت ..
غاصت حوافر خيلى الحمقاء فى الرمل المراوغ .. فارتميت
لكنني رغم التباعد والمجاهدة العقيمة والعطش ..
لوحت نحو الشمس .. فانتبهت إلى ظلى القوافل ..

مازلت حتى الآن رغم الموت أقبل ..
فانظروني ..
شامخاً .. أقبل من كل المداخل .. أنظروني ..
إن هاجرت خوف المواجهة البلابل ..
إنني أبدا .. أعود ولا أهاجر .. فأعذروني ..
إن لي تحت مياه النهر .. داراً .. ونخيلاً ..
وبيادر ..

○

أبريم – مازالت هناك على انتظار

أبريم – ترقد تحت موج النهر من زمن ، وتنتظر
انفجار الغيب ، بالوعد ، الذى عاشت له
عبر المواسم والفصول ..
كانت تودع كل حين طفلة أو أمنية .
للبحر ترسلها وتحلم بالسنين الآتيات من العصور
الغافية ..
وتظل فوق شواطئ عمرها الأزلى تنتظر الطيور
النائية ..
ترنو إلى سحب الشمال القادمات من الغياهب
ياجنون الإنتظار ..
وتسائل الرمل الذى يمتد عبر العمر كالقدر المهول
عمّا ستنكشف الحقول

وما سيرسله المطر ..
وتسائل الأيام عما سوف تحمله المراكب للذين
تمزقوا تحت الحصار .!

يا أيها الزمن اللعين خذلتنى ..
لم دون كل الخلق طفلى لايعود ؟!
لم فجأة ... وجميع أفراح القرى كانت به أبداً رهينة .!
أنا ما وثقت بوعد أولاد الزوانى ..
لا ... ولا دانت قراى لجندهم عبر العصور
ما كان وال يستطيع خديعتى أبداً ، ولا كان
الزمان بحلوه ومراره يوماً سيسمع آهتى ..
- لولا فراقك يابنى ..
فأنا وعدتك أنت بالحزن الخفىَ ، وعدت قلبك بالهوى ..
وأنا إليك لجأت حين أنتابنى الخوف العقيم ..
وتخطَفت أحلام طفلتنا تهاويل الظلام ..
باركت خطوك للشمال ..
وقلت ... هذا طائرى ..
أرسلته للبحر كي يأتى لنا .. بجرائد الأطفال
والخبز العصىَ ..
ووثقت أنك عائد لابد بالألق الذى ..
يخيفه هذا الجدب عنَا ..
أرضعت أطفالى انتظاراً وأغانىَ ومنَا
فأرجع إلىَ فإن صبرك قاتلى ..
ما عاد يسعفنى التأنى ..

فأنا عجوز هدّنى الترحال من أرض لأرض
أدمت كفوفى هذه الحقب البخيلة ..
وتكاثر الأعداد حول النخلة التى خبزت رغيفى ..
هذى أظافرهم على جلدى
وهذى نارهم فى عقر دارى ..
الموت حالفهم وخالفنى وليفى ..
ومضيت أنت كبارق الحلم الرهيف ..
أنت الذى حملت ضفاف النهر جثته
ربيعاً فى الخريف ..!

١٩٧٩/١٢/٣٠

●

اليه فى عيد ميلاده

الحديث إلى المرايا

تنقش صورتك على وجه الماء .!
تكتب قصتك على صدر الريح ..
تُخرج من جعبتك اللعبة تلو اللعبة
وتبدل أقنعة الضعف بأقنعة البطش
تتوعد أهلك ..
لتنام على حجر عدوك ..
تبكى عند الحائط
يا خاتم عنقود العملاء..
وتعود لتضحك ، تتفكه ، تتباسط
« ربك يرزق من شاء متى شاء !! »
وراض أنت برزق الله..
وكأنك أولدت الحنظل بلحا الفقراء
وكأنك لم تضع الملح بجرح الشهداء..
ترتعد قبور المغدورين بسيناء..
أى خطايا الأجداد تفسر يوماً قصتك
تبررها للأبناء .!
....
تنظر فى المرآة وتحلم بخلود وهمي
البلسم أنت
وأنت بكارة أحلام القرية
حامل أسرار الماضي والحاضر وكتاب الحكمة

غافر أخطاء الموتى ، جالب حظ الأحياء ...
ونبيّ العصر الملهم ..
قبلك كان الطاعون..
وبعدك يأتى الطوفان وتنطفئ الشمس.؟
....
يا طفل الوهم الأميّ ...
يستيقظ أهل الكهف على ضحكتك
ينجذب إليك الموتورون .. الأزلام ... الخونة ...
والمتكفئون على دبر العصر
ينصرك السَفلة شذاذ الآفاق
وسراق طعام الفقراء بمصر ...
وها أنت الآن وحيد فوق القمة
....
إنكشفت عنك بفضل القانون الغمة....
أخرست الألسن كسرت السيف ...
وقصفت جميع الأقلام ولكن ضاع حصاد الصيف
تنظر حولك ...
تبصر فى كل الأركان عيونك تتأمل فيك
تغازلك بوجد
أيديك تحييك .. وترفعك على درج المجد
لسانك يسمع لك
أنت تناقش أنت تبايع أنت..
صوتك يعشق سمعك يسكن فى أذنيك
تفخم حرف الشين ، تثأثئ حرف التاء
....

تستملح جرس الكلمات الفاخرة الجوفاء
يسكرك التصفيق فتنسى ما كان عليه الأمر..
وتخلّد ما صار إليه الحال..
« ربك حنان منان فى كل الأحوال..»
« تكفر إن تسأل فهو الفعال ..! »
وتصدق نفسك ..
يبهرك الضوء..
فتضبط إيقاع الخطوة تسقط فى إيقاع الزمن الأجوف..
....
لكنك تعرف..
أقسم أنك تعرف ..
أن الليل قصير
والعمر قصير
والكذب وإن طال الحبل قصير
ولكل منا فى التاريخ مصير ..
والعالم أضيق من أن يسع الضّدين
فأرحل فى المرآة إلى النسيان ..
أو أقتل نفسك ... هذا أفضل ..
فلن يفتقدك أحد ، حتى أنت ..
إذ سوف يجئ اليوم وتدعو ربك ..
« أن يمحو أسمك من ذاكرة اللعنة فى قلب الأوطان .! »

يكبر الأطفال فجأة

أصغر أطفالك يا أمي لم يتعذب
كان الأمر بسيطاً .. كالموت ..

....

سنوات العمر الأولى كانت مثقلة بالأحزان
وبالوعد
يكبر طفلك فجأة ..
يعرف أكثر مما كنت تودين
يمضي أبعد مما كنت تريدين
يتجاهل صوتك حين تنادين ، فلا يرجع ..

....

يلمس حد السيف
ينظر بين الجرح وبين السكين
يتعرف في الشمس على صورتك المحترقة..

....

يسمع في الليل عذابك
بين سراديب التاريخ وأروقة المحتسبين
يرتعش القلب كسنبلة في الريح
الطفل الأخضر يكبر بين الماء وبين النار
تزهر في القلب الكلمات الأولى..
تزدهر الأشعار
حاملة رائحة دماء الشهداء ، وطعم الجوع
وذلة سيناء..

فيطارده العسكر والعسس وجند التجار..
يتغير وجه الأرض
الدم والقمح وياقوت العشق العذري..
يحمله الوجد الصوفي إلى الحارات المأهولة بالفقر
يهديه زحام الناس إلى طرق الشمس
يرتعش البدن المرهف بين كلاب الصيد..
يتعذب طفلك بين الفرح وبين الحزن..
يأخذه الحزن إلى المدن المجهولة..
يحمله الفرح الفطري إلى السجن...
هذا طفلك يحفظ تاريخ الدلتا..
يمتد على ساحات المنصورة
ينتثر بعصر الجوع رغيفاً للفقراء
يصاحب خطوات العمال ذوى الأمراض المستوطنة
يردد أغنيات البحارة
طفلك يا أمي يصبح فى الزنزانة شجراً مطراً..
. حلماً..
. شمساً..
. شعراً .. .
قيثارة .. .
طفلك لما بالآلام تعمد
أصبح للشرطة رعباً..
أصبح فى حلق السلطة شوكاً ومرارة..
يكبر طفلك فجأة..
يتجدد وجه العالم ، يمتد النسب الأشرف كى يهدأ

غضب الأسلاف
وأنا أنتظر الشعر
....
أشق ضلوع بساتيني وأصلي للمطر للقادم
أغنيني لم تكمل بعد
وكروم حدائق قريتنا لم تزهر بعد
والبحر يفيض وليس بملآن ... بعد
فأنتظري الثورة يا أمي ..
أصغر أطفالك .. لم يقتل بعد ..!

●

المساء السفينة

أحبك..!
لن أستريح ..
فذاك المساء السفينة : يقبل يدبر
يرحل عني ..
ولا تهدأ العاصفة..

....

شواطئ عينيك وهم وريح
أدون فوق كفوفك سفر التلاقي..
فتسترجعين عصور التشرد والصدق مني ..
وتستمطرين السماء الغريبة غيث التمرد ..

....

إذا ما تبعتك تنأين عني ..
أطارد ظلك عبر القصائد والحادثات ..

....

يحاصر قلبي دونك ألف جدار - وحزن مؤكد
وعمر من الحلم والأغنيات الكذوبة
وشعب مصفد.

....

أتوق إلى رشفة من عذوبة ..
يقسمني الزيف ..
تشطر رائحة النفط صدري ..
ودونك بيد ورمل .. ونار ..
تغوص بصدري سيوف الخليفة
ويطفئ وهج العيون المحبة نهر دماء ..
فتحت سريري ترقد من زمن مستحيل

أكاذيب لا يخجل الجرح منها ..
وكره يمزقني فى الخفاء ..!

....

أحبكَ
رعباً تلفت دربي..
وضاعت خطاي بليل القرى ، والتماع السيوف
التى لم تحارب
فليس لمثلي أن يهتدى..
ولا أن يعانق حلماً بسيطاً ..
سيبقى له فى أحتضار الصباح..!
ولا أن يحن لباب صديق ، ودرب رفيق ، وصحب
ولا أن يهاجر منسلخاً من قديم الجراح..
ولا أن يعود إلى حيث كان نداء البداية..

....

فيا حزن قلبي
تفر البدايات تحت عيوني ..
ولا أستطيع
فمدى إلي شعاعاً صديقاً ..
وعصفورة من صغار البلابل..
لعلي أرسو على شاطئ من جنون مقاتل
فتلحق بي عند أفق المساء
سفينة عينيك
تشعل فىَ جنون الحياة..
وتنقذني من خمود وقاري ...
وايقاع صمتى..!

إلى سيد المخبرين

برغمك أصرخ..
أكتب شعراً وأبكي
وأفرح .. أشدو ..
أحب بلادى ..
وأضحك.. رغم أكاذيب سحنتك المستحيلة
وهذا الجنون الذي فى عيونك حقداً ، يخاصم
شعري .!
برغم سجونك أبني بزنزانة السجن .. قصري ..
برغم جنودك ، ليل خرافاتك الداعرة..
فلن تعرف الآن سري ..
لأنى أذوب وينصهر الجسد المستباح بطين القرى
فأبصر فى الليل شؤم مصيرك..
هذا الذى لا ترى..!
فأمرك يا سيد المخبرين - رهين بأمرى..!
....
برغمك أحيا .. أغني ..
وللشمس للشعب أرفع قربان حبي..
قصائد شعر
وملحا .. وخبزاً.. وأزهار فلّ
وقطرة طل تخفف من تعب الفقراء ..
وحبا تصلى ..
لشغيلة فى حماك المذلّ

يشيدون قبراً لمثلك ، حقلا لمثلي ..
لسنبلة تسخر الريح من ضعفها تحت ظلي ..
ولكنها تعصر الطين سرا ..
ليأكل فى ليلة الجوع .. شعبى .!

××

برغمك يكبر قلبى ..
يكبر .. يكبر .. يكبر حزبى ..
فيرتعد السائرون نياماً بسقف المدينة
ويسقط فى ربقة الشك جندك والإمعات ..
ويصبح شعرى غذاء وسما ..
أحب وأكره ..
وأمضى خفيفاً ، خفيفاً ، كطير وذكرى ..
وأحمل هما ثقيلا .. وسراً ..
أعيش إلى أبد الآبدين ..
وحين أموت سأحيا ..
أعانق طين بلادي ..
وأبقى على شفة الحزن فكرة ..
تراود قلباً صبياً بأمسية حالمة ..
برغمك تذكرني المدن القادمة..
تعلقني فوق صدر الصغار ، تمائم فخر
وعند الظهير فى ظل شعري..
يفكر فى ثقة أصدقائي :
هنا قد سجنت
هنا قد أهنت
هنا هللت قطرة من دمائي لشغيلة من كفور المحلة..

هنا كنت أحكى لطفل وطفلة..
عن الخائنين وعن شهدائي ..
وعن طول صبري..
هنا كم كتبت..
أساطير لا تخجل النفس منها..
هنا حاول الميتون .. شرائي..
هنا كم هتفت..
هنا قد قتلت..
وبالرغم منك..
تناقل رجع هتا فى الرواة..
وأنت..
ستنساك حتى عصَى المكانس..
تخجل من جرْس إسمك...
كل الشفاة ...
فأمرك يا سيد المخبرين .. رهين بأمري ..!

رسالتان إلى القاهرة

١-

إلى ف . ن
سجن النساء بالقناطر

أيتها الأم المناضلة
ودعى أبنتك الوحيدة
أيها الزوج السجين للمرة السابعة
إن لم تجد قرنفلة حمراء
فأرسل حزمة من صنوبر القمر
فإنه يعرف الطريق إلى زنزانة زوجتك البعيدة..

....

وأنت أيها الطفل الصغير
لا تبك
فأنت كبير بما فيه الكفاية ؛
لأن تسع سنوات من التعذيب كفيلة بتهذيب أحلامك
وأختك لم تعد تملك الوقت لتمسح دموعاً يمكن الأستغناء عنها
إذ عليها أن تعد لك طعامك لأيام عديدة قادمة
وإن تغسل لك ملابسك كى تكون لائقاً لوم الزيارة المجهول..
لا تشغل بالها بترف الحزن عليك..
لأنه يجب أن تعيد ترتيب بقايا الكتب
وشظايا الأفكار والهموم
وأن تفكر فى هدوء
كى تجد وسيلة تحمل بها إلى والديك الأسماء
الأخيرة فى قائمة المعتقلين الطويلة..
وأنباء المظاهرة القادمة..

ورسالة ثقة من الحزب
ليبتسما لكما عبر المسافات رغم دموعهما المستحيلة..

٢-

إلى أبو العز الحريري

سجن أبو زعبل

أَلفتُك .. عند انبثاق الفجر الذى يتوثب عمالا وأجنحة
قرأت فيك سفر رحلتي
وجرحى الذى يمتد من دلتا المحلة الكبرى إلى النجوع
الغافيات على مشارف الفقر المحنط والمقابر
والحروف المفرحة..
أنا الذى عرفت الحلم ماء فى الأصابع..
ورغيف خبز يشبه القمر الجريح..
زنزانتي خلّفتها للقادرين على تباريح الهوى..
ووهبت ثوبي للذين أستشهدوا تحت السياط
أواه..
يابؤس العطايا الجارحة..
فى زمان لا تكف نساؤنا فيه عن اجترار الذكريات
وأغنيات الغائبين .. على نقوش الأضرحة..
....
فى الحقل ساقية وعتني فى الصبا - لا ترتوي..
ومياه (بلهارسا) لها طبع الملوك الكاذبين ..
ومواكب من نسوة الفقراء يجترون أحزاناً

وخوفاً ..
وحنيناً ..
خففت الوطأ عني..
فقرأت فيك بدايتي..
أنت الذى بدّلت أردية النباتات الحزينة بالفرح
الآن لا تغفو على كتفيك أطفال تعودهم رجال الأمن
والدمع الشحيح..
لكنها ترتاح فى صدرك أسماء القرى..
والبائعات البائسات
وراية الإضراب
والترسانة البحرية الشرفات - أشرعة المراكب
والراحلون وراء ثاقبة الصخور
ومواكب الطلاب فى (غيط العنب) ..؟
والمنشدون الشعر فى ليل المعامل والقرى ..
والطابعون حروف نشرتنا بحبر مستحيل
والنيل خلف سياج سجنك يستحيل
نوافذاً للشمس
ذاكرة..
ورسالة للبحر فى غسق النخيل
تستمطر الغيم البخيل ..
بشارة الصبح .. البخيل..!

ورسالة ثقة من الحزب
ليبتسما لكما عبر المسافات رغم دموعهما المستحيلة..

٢-

إلى أبو العز الحريري

سجن أبو زعبل

أَلفتُك .. عند انبثاق الفجر الذى يتوثب عمالا وأجنحة
قرأت فيك سفر رحلتي
وجرحى الذى يمتد من دلتا المحلة الكبرى إلى النجوع
الغافيات على مشارف الفقر المحنط والمقابر
والحروف المفرحة..
أنا الذى عرفت الحلم ماء فى الأصابع..
ورغيف خبز يشبه القمر الجريح..
زنزانتي خلَفتها للقادرين على تباريح الهوى..
ووهبت ثوبي للذين أستشهدوا تحت السياط
أواه..
يابؤس العطايا الجارحة..
فى زمان لا تكف نساؤنا فيه عن اجترار الذكريات
وأغنيات الغائبين .. على نقوش الأضرحة..
....
فى الحقل ساقية وعتني فى الصبا - لا ترتوي..
ومياه (بلهارسا) لها طبع الملوك الكاذبين ..
ومواكب من نسوة الفقراء يجترون أحزاناً

ذاكرة الطين ..

للطمى ذاكرة ، وللأشجار والساحات لاتنسى
وجوه الناس ... والأشعار تنسى
موهوبة يا أرض مصر وعبقرية ..
فأنا الذى عودتنى القول الصريح :
- ان قلت لا تخشى واذا ما خفت - لا تنطق
أغفلت الوصية قاصداً أن أستريح - نطقت همساً ..
آمنت غدر السَاقطين وطبَت بالنسيان نفسا ..
ونسيت أن غداً ، يكون اليوم أمسا ..
فظننت أن الخنجر المخفى فأساً ..
خذلتنى ذاكرة الطفولة والحقول ، فكان قتلى
بيد لها من سمرة النيَل الكآبة والذبول - تفحَ يأسا ..
وسخ على ثوب الوطن
يبدو لمن لايبصرون كأنه فى الغيم شمساً ..
أوآه .. يا مصر التى بك - يكذبون ..
يتجمَعون كما الذئاب تدق طبل الحرب ، أين سينهشون
ويهبطون كما الذباب .. بكل مائدة تكون ..
فبأى آلاء الشعوب يكذبون ..
...
متبطَلون على شواطئ حزننا يتسكعون ..
يتبادلون بكل أسواق السياسة ربَهم ، ويبادلون ..
فبأي آلاء الشعوب يكذبون ..
...

ثلاث أغاني محرمة لشجرة توت وحيدة

- ١ -

أحبك
يا شجرة التوت الوحيدة
يا من فى ظلها الوريف استراح الكثيرون من أبناء وطنى
تحت قيظ الصيف والغربة..
ثم هجروها لعابري السبيل وللخريف..
وعندما أعوزهم الدفء فى الحجرات الشتوية المغلقة..
كرهوا اتساع السماء على شطوط عينيها..
فانتزعوها من الجذور ومزقوها بلا رحمة - إلى شظايا..
...
لكن النار المنفية والشجر الذى يحن للإحتراق فى شعاب الوطن
خلدها .. خلود النيل والألم..
دخاناً ... وأشعاراً ..!

○

- ٢ -

مزقت أغلفة كتب الطفولة الحميمة
وأيام الصبا الحمقاء
بحثاً عن صورتك القديمة ..
فى رائحة الثوم القروي

وخشب المحاريث المهترئ..
ودخان الطين المحترق ..
وأغلفة النخل المذكر والحكايا ..

إخترقت طوابير الحرس الوطنى ..
إلى وجهك المقنع بالهموم..
أدميت أظافري فوق أغلفة الملفات الملغومة
والسيارات المفخخة
أخفيت قصائدى الكافرة عن أعين أبي الشيخ..
وعن أمى التى لم تذق ابتسامة العشق المحرم..
لأعبر عارياً تحت المطر المسموم
زحام الأسواق - إليك..

أى وعد فى الجنون كان يختفي ..
أى نهر ظامئ تخبئينه لأرتوى .. وأكتفي .!؛

- ٣ -

عندما استراح الجبل
بعد رحيله الأزلي نحو الموت والزلازل
دعاني لكهفك الغجري
أسكرني بخمر بدائية

لا مثيل لها فى ملامح الوطن..
كانت كرومك مرة المذاق
وأنا الذى اشتاق لاحتراق اللحظة المحرمة وللعناق
فقدت فى معارك التبتل الحميد نصف ساقي..
فبأي إسم مقدس
أبدأ فيك طقوسيَ الجليلة..
وبأى صخرة ممتدة الجذور فى أعماق الحزن
تشبثت وأولجت - فرحتى ..!
أم أنني مازلت حتى الآن - فى لجّة المروق
والعقوق والشقاق -
تذكرني فى غربتي ..
المواسم البخيلة ..!

●

٤ قصائد من دمشق

١- الطريق إلى ابن عساكر

عجيبة
حثالة ومجد
مهيبة
مكتظة إلى الثمالة
بالعشق بالشهود الزور والشعراء والبغايا
كئيبة
تجتاحها تلال الياسمين والصبايا
متعبة
أرهقها معلبو النخالة
وبائعو الطوابع الرسمية
والأسمنت والبضائع المهربة ..

لكنني لمست تحت جلدها المدبوغ
باحتشاد الجند والتجار والكذب
براءة البحار
رعشة الصبا ..
تألق التراب فوق سترة التعب..!

○

٢ – صديقان

صديقيَ الرسام ، أشعل الشموع لي ..
ولون الأزهار بالدموع والفرح
صليت خاشعاً
توهج التكوين والألم..
وذبت فى مباسم الألوان فى تناغم الأفراح
بيْن .. بين سدرة الخلود ياشآم والعدم..
آمنت .. أنني ولدت مرتين
قُتلت مرتين
ضِعت فى الزحام والفراغ والخضم
عشت ألف عام
عشقت ما أصابني .. احترقت
فى بلورة الإيمان ..
لذت جائعاً بالصمت والحنان ..
ليصعد الإنسان..
لكن .. آه ..
يا بلادي النائية الطريق ..
يا فسيحة الأبعاد يوم الضيق
يا مرضعة الأضداد .. آه ..
يا موطئ الأمان فى الظلام للقدم ..

صديقي الخسيس .. أطفأ الأحلام ..
حين شق بالحسام صدرى المبهور ..
ثم نام ..
وأبتسم ..!

○

٣ – مقهى اللاتيرنا

مدينة الشعر المعلب والمتبل أربكتنى ..
ما عدت أعرف
هل أنا المقصود بالقتل أم الموعود بالميلاد
والعشق المحرم
أو كان قلبي يزرع الألغام فى درب الحمائم
أم تعثرت الأماني فى ثنيات الجرائم ؟
...
ما الذي أيقظ أحزاني القديمة ..
أنت ..؟
أم ذاك الذى يربض فى أعماق جرحى من هزائم
أم أكاذيب الشراب الباردة ؟
...
زهرة الليمون تكذب ..
نجمة الصبح تراوغ ..
وأنا والحائط الممتد للأفق تآلفنا
من الخلق إلى الموت أمتزجنا
ما تحرّجنا من النكران والصمت
تعودنا تراتيل البكاء
لكننا رغم التواطؤ .. ما ألفنا ..
بسمة الغدر التى ..
توغر صدر الأصدقاء ..!

○

٤ - إلى بركات لطيف

أنا انتزعت من تحت الركام يا دمشق
قلبي الفخّار
وشمته على أعتاب سائق القطار
نجمة وطفلاً
أطلقته إلى منازل الفقراء
عصفورة وقبرة
زرعته أرغفة ونخلاً
أرسلته إلى معامل النسيج غيمة
جلست تحت ظلها الرهيف ..
أنتظر ..
صرخت يا مطر
لا تسلم الغوطة للصحراء .. لا ..
ولا قصائد النهر للجفاف .. لا ..
ولا قصائد الحب للسماسرة ..
إهطل على القرى ..
لعلها تمهلني كي أكمل القصيدة المغبرة
بالزيت والدخان .. والأمل ..!

●

رثاء المغنى القروى

كان يدور فى منازل الفقراء
يحمل قيثارة تنزف أوتارها حزناً
كأنه الغناء
يقتسم الرغيف والبكاء مثل عامة البشر
.. وعندما يرعبه الظلام وسط غابة البدائل المقنعة
يلعق فوق صدره قرنفلة حمراء .!

كانت خطاه فى دروب مصر بانساً تحمله إلى السماء
يستنشق الحنان فى بيوت الأصدقاء
يلقن الأوتار حزنهم فيشرق الزمن
وتهتف القوافل المضيعة – يا مصر
ليحلم الأطفال بالأنهار
والحقول بالسنابل
وترقص البنات فرحاً .. إذ يكتشفن
الحب والوطن .!

رحلت خلف سفينة الوهم الشقي
خلف حلمي الذى نذرته للشعر واليتامى ..
عبرت بحر الموت والخطيئة
شققت عن قلوب الأصدقاء أستعيد صورتي
ناشدت عابري الطريق والمشردين والعرايا
صرخت يا صبايا .. عطشان ..

فأحملونى
إلى شواطئ نيلية الغناء والشجر
وجمعوا عظامي التى تناثرت
على موائد القمار فى مدائن الغجر
لأشعل القصائد التى تمزقت غريبة على مشانق الوتر
لكن أهل هذه المدينة التى تحطمت على صخورها
سفينتي
تصامموا
وافحموا بالصمت حجتي ..

وألقموا فمى حجر ..
إذ قيل .. قال .. قيل .. قال ..
ثم قيل .. بعد قال
لكننى وقبل أن يقال .. قيل .. قال ..
لمحته يدور فى خبال .. حول نفسه
تدور رأسه معه ..
يرفع عند كل مفرق بيارقاً مرقعة
تزهو بها الرياح فى الجهات العاهرات الأربعة
يصنع من براءة الأشعار أقنعة

وقيل
كانت تشهق الأرامل ..
وخشية البوار يستسلمن فى تعفف الأبكار
للمضاجعة

وقيل .. كانت ترحل القرى ..
من رعبها تفر ..
تجدل من دموع حزنها سفائننا وأشرعة
تهجره على شواطئ النكوص
والموائمة ..

وقيل
كان يجهز القيثارة البكماء للغناء
مرغمة
إذ تبدأ المساومة .!
(بالمجد .. لك .. م .. ق .. ا .. و .. هـ .!!)

●

ثلاث دمعات حزينة

إلى وليد صعب

(١) النبأ

عيناكَ ضحكتان للأحزان
بسمتان للفرح
أطفالنا بالأمس كانوا يحلمون بالغناء
فى مواكب تنساب من كفيْك
اليوم صار الحزن أبجدية ...
ياعتبهم عليك .!

○

(٢) الجناز

لا تطلقي تهنينة البكاء يا صبية
بل أنشدى الأسماء فوق قبره ترنيمة (مصرية)
قد تستريح فى أقفاصها الأغاني
وتخرج الحقول عبر النيل كى تعانق الصباح
فتية الأماني..
طليقة من قسوة الجراح والوجيعة
تنبؤنا بأنه يعود ..
يقوم من رتابة الفجيعة ..
إلى رحابه المعارك الأممية.!

○

(٣) الموت

يجئ غيلة مباغتا
بأعين النهار أو عشية
على ضفاف النيل أو مشارف الجبل
سيارة وموت ...
مخاتلا يجيء مثل بارق السيوف
صامتاً
لكنه يظل باهتاً
إذ عندما نودع الضحية ..
تولد فى قلوبنا سنابل التوحد العصبة
....
قصيدة وبندقية

●

جمانة الدمشقية

ماذا وراءك يا جمانة ؟!
يا ابنة القيد وارث الفاتحين
وطريدة الصيد فى غابات أفراح الملوك الوارثين .!

أنبأتني زهرة الآس الدمشقية :
أن رب البيت واعدنا حنانه ..
وسيمهلنا إلى حين ، نذوق الفرح فى الزمن الحزين
فإذا خوفاً وإيماناً خفضنا لمريديه جناح الذل
أورثنا جنانه ،،
يبد أنا ... غفلة منا ونكرانا عصينا ...
لم نهبه لقاء رحمته الإلهية قرباناً - دمانا
سيدى هذا أوان الأختيار ..
قم وهبني للخليفة ..
لم أحيا بعد عمر الجوع عمر الأنتظار ؟
هو يعفو عن حماقات الجواري
بل ويضحك راضياً عن نفسه
حين فى ليل الهوى نعري ونحكي
عن خطايانا - التى ...

أغضبت مني - سيدي ؟!
اغفر لجارية تحبك ، جرأتي ..
وأنهض لنرحل خلف بسمتنا القديمة

أصبح الخبز قرين الدم أحياناً
فلامتنا - ولا التبرير أحيانا .!!

كان نهر النيل منفعلاً فأجهدنا
وغض الطرف عن أحلامنا الأولى - وجافانا
إذ رضينا بالسلام وبالصلاة على الطغاة الخالدين
وتوعدنا بقتل فاجر

○

جذب المواسم
بربري الأبجدية - ليس يرضاه سوانا ..

نحن من زمن سحيق في الدياجير ، بلا وطن ، وتذبحنا الهوية
إذ ألفنا دعة المظلوم أمن الإستكانة
كل من كان له سيف ومشنقة تولّانا سبيةِ
وبلا خجل دعانا كي نباركه - نشاركه أمانه
نأكل الخبز الأخير
ننشق العطر الأخير
ننزف الرمق الأخير
كي يرصّع عرشه بسنِي صبانا ...

قد خاب فألك ياجمانة - فاعذريني..
لا تعذليني ..
وأقرأى عينيَ ليس القول يكفي ...
ما عاد ينفعنا التظاهر والتخفي ..

لن أكابر
أوغل السجان فى صدري
وشل القيد كفي
زيّني قبري بأزهار بلا عطر فأني قد رضعت الصبر
أدمنت الإهانة ..
قيل فى التقويم أنى .. خير من دب على الأرض
ويوم الحشر عند الرب أقدسهم مكانة ..
أتقن الفصحى
وإخفاء المشاعر
والتكاثر والتناحر والتخابر والتشاطر والكهانة
سكب الفضة والأوهام فى أذني منذ وعيت
شعراء المدائح والمتاجر والظنون
وأنا أكتفيت
رضيت بالظل أحتميت من الجنون
وكلهم لا يكتفون ..
وكلهم لا يشتفون ..
وكلهم لا يكشفون ..
ما الذى يغري بإنسان فقير
قطع القهر عن الجهر لسانه ؟!
...
أوصدى الباب فأنى متعب
وأطفئي ضوء المصابيح لعليَ ..
لا أرى فى ظلمة الوهم أسانا ..

عادت الأنباء تسري بأساطير وأحلام إنتصارات

وشعر وخطب ..
قمت فى أسمال أحزاني أكفكف دمع (بردَي ..)
وأغني لعصافير (دمشق)
وقمم (رام الله) وأطفال الجنوب
وحزن قاهرة التمنى ...
بيد أنى
سرق الألحان مني .. ما ألفت من الخيانة ..
فبقلبي غاض نهر النيل من قبل
وفاض نهر الجند والتجار
أغرقني ولا حقنى إلى الخبز الفقير
من يصدقنى إذا غمغمت من رعب يؤرقني ..
جف عشق الأرض فى حلق الفقير
وأنا فى سجن صمتى ..
ضعت فى طبل الأمير ...
منذ فاض دمي بدجلة ، وامتطى (الحجاج) بالسيف زمانه ..

أرهق الفارس قبل الحرب
فى الرقص وفى القتل حصانه ..
بينما ألزمت بيتي ..
أمضغ الخبز الأخير
أجرع الماء الأخير
أُسلب الرمق الأخير ..
ولغير الموت والأحزان أبقى فارس الصف الأخير..

هل على الطائر إن قص جناحاه
وأضناه انتظار الشمس لوم

أو إدانة !
أرحلي عني - جمانة
إلحقي بالصاعدين لشاطئ الحلم الأخير
وكليني لهموم كبلتي
علمتنى كيف أخفي ما ورثت من المهانة
كلما نمت على جمر المضاجع والمواجع أيقظتني ..
كى أصارع خسة الحقب المدانة ..
علّني أحرم أطفالىَ من ضعفي
ومن خوفى ..
وأمنحهم ما ظل منى ..
ما نجا من رحلة الأثام والذل - جمانة ..
أمضغ الندم الأخير
أجرع الكأس الأخير ..
أهدم السجن الأخير ..
وأغني زفرة الرمق الأخير ..

فقد يرى يومي الأخير ..؟
بشارة النصر الأخير ..؟

بيروت - دمشق ١٩٨١ حزيران

قصائد شخصية جداً

البديل

يا أيها الشاعر أغمد سيف من أغراك بي ..
أنا لا أخاف فلَست أهلا لاغتيالي
إذ لا يخاف الميتين الميتون فلا أباً لك – لا أبالي ..
عند إبتداء الحفل كان على الموائد بعض فضل من
دم الأطفال
بعض من عظام الطير بعض من تفاعيل الخليل
وأنا قرأتك منذ أغوتني الحروف ..
ومنذ ودّعت القرى ذات النخيل
إلى زنازين السجون
منذ أكتفيت من الوطن /
ومن الغرام بحفنتين من الشعير
وجمرتين من الهجير
وخطوتين على الصراط إلى السعير
وقفزتين إلى الفراغ المستحيل ..
العدل من شيم الملوك ..
وحصننا الكرم المرادف للعروبة ..
والقصائد حاكمات- يسقط الشعر النبيل ..
العشق أضحى برزخاً للقتل والموت النبيل ..
آاااااه .. من العطش الذليل
وكل هذا العمر – نيل ..
ما للقلوب ترمّدت والعين مزّقها العويل ..
أبصرت خلف منصة الزعماء أزهاراً من الدم والزجاج

وعساكر مثل الدجاج ..
تربصوا بقصائدى ..
ألقوا بها خلف المدار المستطيل
أتقنت ثرثرة النعاج ..
قطًا من الخجل المجنح كنت فى القصر البديل
ظلاً على بُسط الأمير
ولِّيت سوق العصر
(محتسب) صغير
الكل يركل إليتىَ أنا الضرير ..
أبصرت بابا خلف مائدة الزعيم وشفت موتى ..
يتبادلون من الجماجم لحم إخوتى المتبل بالرمال
ويثرثرون على الأرائك عمرهم /
تاريخ أحلام الصحارى / والملوك الأنبياء ..
ولمحت قتلى عبر نهر من دبال ..
فيضا من الكذب النبيل ومن تراتيل الجنون
ورجال أمن يتقنون القصّ بالفصحى لأطفال السبيل
قضبان سجن تكره الضحايا ..
أعجاز نخل رثة – تكايا ..
جدران أضرحة مهدمة الزوايا ..
ديكين يقتتلان رغم الموت – خارطة ممزقة / صبايا
كتبا من الورق القديم
نفاية كبرى بلا رئة وليس لها بقايا ..
وقرأت خلف العرش فى عمق المرايا ..
قصيدتين لأجل أعين زوجتيك وغنوتين عن البغايا

هذى تقال على المقاهى وتلك تصحبها العروس إلى الفراش
لحين تنسدل الستائر يبدأ الزحف المقدس والجنازة ..
فتأوب منك بخيبتين وتحتمى بالشعر تبكى عمرها
الموءود فى الرزق القليل
يا ايها الوطن العليل
إن كان هذا العمر لم ينجدك هل يجدى الرحيل
هى لم تعد تتذكر الأشباه
حتى ذلك المدفون فى بيت بناه على الرمال
أما الذى بعث (الحوالة) خاصمته
بأمر بنك الدولة الأولى
وغيظ الثانية ..
القت إليه الخاتمين وغيرت أرقام هاتفها
وراحت ترقب التجار يفترسون فى أحشائها
/ الوطن المحال ..!

قليل من المفاسد الصغيرة !

(١)

يا أيها المناضل السعيد
من الذى ستعدمون حين يبدأ الصياح
ومن ستعقرون فى مسافة المباح
بين وطأة الجراح والرضا المتاح
إذا انتهت معارك الكلام بالهزيمة المعتادة
×
المرأة التى أعطتك نفسها فى خندق المواجهة
ناصفتك صفقة السلاح يوم خنت عهدها ..
وضفرتك فى لجين شعرها وروضتك ..
ساومتك فى فراشها ..
حين راودتك عن بكارة الأشعار فى ختام المؤتمر
قَبلتك ثم قادت الأعداء للسرير فى سعادة ..

○

(٢)

(.. اليوم يومك يا أسود !!) ..
فدثريني كى أنام يابنيَتى ..
وأبلغى الأمير أننى قد أنتهيت من قصيدتى اكتفيت
جائعاً إلى الطعام بالكلام ..
ولتعذرينى اليوم يا معارك العرب ..

فضلت أن أكون أول الهرب ..
لا وقت حين القتل للملام ..
إعتدت أن أصاحب الجلاد للحريم
إخترت أن أموت فوق صدر من يحبنى من الجنود
والغوانى ..
منتشياً بقصة العفريت والغزالة ..
ومنشدا قصائد الأشاوس الكرام فى نبالة ..
إن الحسين لم يمت من العطش ..
عثمان كان ينشد العدالة ..
فأجبر المدائن التى تمرست بجهلها الشرعي ..
واكتفت بنشرة (السى إن) و (الأواكس) ..
أن تظل دون سن الحلم والفطام ..
فى غياهب الجهالة !

○

(٣)

بدّل الوراق لون الحبر مرتين بين وهلة الصباح
وارتجافه البدن
وهاهم الأشاعر الصغار يقتلون بعضهم على مشارف الوطن
للجهل نزوة وللسلطان أربعة
وللحريم ما يشأن من مراتب النزق ..
يابؤس ما رأيت ساعة الغسق ..

لاتبتئس يا ابن التى تقايض الطعام بالعرق
هذه نهايات الحضارات العظيمة / العطن
قوافل الحجاج أقبلت
فأوقفوا القتال ..
وحىَ على التجارة يارجال ..
أهجروا مفاسد الأحبار والورق ..!

○

(٤)

المرأة التى وَهبت عشقها قصيدتى ..
ولم أفز بوصالها ..
كانت تفضل جندهم لنكايتى ..
ولحبِّها العلنىَ ترقص فى الشوارع عارية ..
تمر من باب المطار إلى الفراش علانية ..
تقتل العشاق .. قبل الليلة الأولى ..
وتدعو سيدى الجنرال كى يرقى الجثث ..
فتشير لى .. إصعد وأذن للنهار ..
فلا أتم حكايتى ..
تذروا بعينىَ الغبار فلا أفوز من الهوى بكفايتى ..!

○

(٥)

ماذا ستعطى يا طويل العمر لي
عند إنتظار الشمس ..
أو موت القمر ..
الحرب أحرقت الخيام وفتتت قلب الحجر ..
الصيف / هذا الصيف مختلف ومسروق الصور
نخل بلا ثمر ونفط فيه دم ..
الظل همَ راسخ ..
وبرغم كل مياه هذا النهر دجلة والفرات ..
أموت فى عطش الحسين ..
الحرب أرحم منك يامولاى بى .. وكذا البنوك
دفن الملوك نفايتى ..
وصَلبت أنت - لكى تواصل درب من سبقوك
غصباً - جثتى ..؟

تنويعات على حرف النون

إذا قلت .. كن
فهل يافؤادى الشقيّ تكون
ولست بذاك الخليّ الصبىّ
ولم تنج من قارعات الجنون

فهزىّ إلىّ
فنخلك يانون ملء العيون
يضن علىّ
ويوقظ فىّ احتدام الرياح
ورعد السكون ..

سعيت إليك
تجنبت كل دروب القوافل ..
ظلّ النخيل
وفيت بكل الفروض النوافل
أحمل سقم السنين القواحل ..
للبحر ..
أرجو عطاك السخىّ ..
لأنجوَ من عاديات المنون ..

سهرت أدق على صمت بابك ..
يا أغنيات الغرام افتحى ..

فإنى كتبت القصائد فوق رمال الهوى
فلم تظهر الريح ما قد مُحى ..
ولم تبدِ عينى ما تضمر الروح
فلم يستجب لى من يعشقون ..

أقمت صلاتى لوعد الغمام ..
فلم تمطر السحب فى أسطحى ..
ولم ترو غُلة من يرحلون ..
شددت الرحال حثيثا إليك ..
وطال انتظارى
أن تشرحى ..
أكان الرحيل إليك سراباً
وكان إنتظارى عذاباً ..
أم الفرح قد حان كى تفتحى ..
ليهدأ تحت جناحك .. ما بى ..
ويجلوَ بدرك ليل اغترابى ..
وتهدأ فى الصدر آه الظنون ..

فهزّى إلىّ ..
نخيل شبابى ..
يساقط رطبا جنيا عليك ..
فقد يُغسل المر .. بالمالح ..
وتصبح كل المواويل – نون !

ضدان ..

فى ثلاجة أحزانى ...
كدَست أمانى أوطانيَ الريفية
فالموسم غير موات ..
وجراد الزمن الأغبر يتوالد وفق قوانين النسبية ..!
...
آه منك ..
وآه ... مني ..
مازالت أعينك تراقبنى - تبحث عني ..
تترصد خطواتى ..
كلماتى ..
آهاتى العلنية والسرية ..
...
ها هى كتبى المهجورة خذها ..
احرقها ..
وقصائد حبى اشنقها ..
لكنك لن ترضى حتى تهلك دونى ..
فأنا مازلت أعيش على خبز جنوني ..
يقلقك سكونى ..
وهج الجمر المكنون بصحراء ظنوني ..
فأنا من لم أَسرق ..
وسُرقت إلى آخر كسرة ..

وأنا من لم يَقتل ..
لكنى بالغدر ذُبحت إلى آخر قطرة
لم أكذب
لكن الكتبة من غلمانك كذبوا باسمي
والكذبة من كتابك ..
أخفوا وهج قصائد حبى من أول شطرة ..
ولذلك أنت تخاف رهافة صوتى ..
وهدوء العاصفة الغضبىَ
فى ساحة صمتى ..
فتحاصرنى ..
تترصدنى ..
تترقب ان تجبرنى الحاجة
فأبيعك آخر أحزانى ..
وأبادلك بآخر أوطانى ..
وهماً يبدو وهاجا ..
يقتلنى يوم السوق
لتصنع من أيامى وبقايا أحلامى ..
حول الحق سياجا ..
نُصبا للحلم المشنوق ...

عمر الإنتظار

تبين العلامات أو تختفى ..
يغيب عن العين طيف الحبيب
تطول المسافات
ياتى القطار ..
ويذهب ملتحفا بالمغيب
لتبدأ أمسية الإنتظار ..
...
يبيت على الجسر ضوء القمر
يطول ويقصر ظل الشجر ..
تمر السحابات
يصعد ظل النخيل الحوائط ..
يسقط خلف الجدار ..
يضيع مع الريح صوت الصغار
لون الخرائط
رجْع حوافر خيل الفوارس ..
تدهمنى ليلة الإنتظار ..
...
أعد وأخطئ عَد النجوم ..
وأرحل خلف ضياء الكواكب
أتبع للأفق موج البحار ..
صفير المراكب

حزن النَوارس ..
همس المحار
لأتقن فن انتظار الثوابت ..
كلّ له فى ظنونى مدار
رحيل بلا مستقر .. ودار ..
سنين من التوق والانتظار ..
تجر سنينا من الشوق والانتظار ..
مسار يقود لغير مسار ..
فلم يبق إلا إنتظار أخير ..
ممل عصىَ
غبى عسير ..
وتأخذنا صعقة الإنهيار ..!

●

نون .. ومايعشقون .!

زحام يضج بساحات رأسي ..
تضيق –
فيرتد يأسي .. عليّ ..
أنا من وهبت المسافات عمري ..
فقدت يديّ ..
...
فهيا تعالَىْ إليّ
فإن الهوى شاطئ المغرقين ..
وعيناك يا (نون) .. قاتلتيّ ..
...
عبرت بحار النخيل إليك ..
بكل الحروف وكلّ اللغات ..
بكل احتدام الحنين لديّ / لديك ..
فلم يك إلا رفيف جناحي ..
بذاك الفضاء العصيّ القصيّ ..
وفي صمت عينيك شفت الصحاري
تذود القصائد عن شفتيّ ..

أيا شعر قطّرت فيك دمائي ..
فهوّن عليك
واثقل عليّ
فهذا الرحيل سراب وغِيّ ..
...

خذيني على بحر (نون) الغناء ..
إلى حيث يدعو نداك الخفيَ ..
لينمو ببعدك عشب هنائي ..
على صدرك الخصب والسرمديّ ..
فأنشد فيك أساطير حبيَ ..
صلاة كآيات عيسى النبيَ ..

...

ألا اختصري (نون) كل النساء ..
أعيدي إليّ إحتدام الصبيَ ..
ليهدأ رعد الزحام برأسي ..
ويبدأ وعد إرتحالك فيَ ..
ويمطر عطرك فوق شطوطي ..
وعودا كقطر الصباح النديَ !

...

فإن فرَق المتعبين الغباء
ومزقهم شوقهم للغناء
فلا عاصم غير حرف حميم
يشيّد بيتا لعشق نقيَ ..

تنويعات على قافية (النون ..)

(١)

أحن إليك ممتطيا جنوني ..
واعبر تيه عينيك إشتياقا ..
أنا المنبتّ
أضنتني شجوني ..
وأعيتنى الأقاويل إحتراقا ..
إجيريني
فباسمك مزّقوني
وعلقمت الأكاذيب المذاقا.

○

(٢)

إلى أجلٍ ..
يحركنا الهواء ..
فنصرخ أن نكون - فلا نكون ..
هباءات .. يفرقها الغباء
بلا عقلٍ ..
وتجمعها الظنون ..
هشيم الصيف يقتله الشتاء ..
وزهر ربيعنا ..
خطو المنون ..

○

(٣)

رحلنا خلف أوهام عظام ..
ليأسرنا صدى الطبل الحزين ..
يشيب القلب
فى سن الفطام
تكبّلنا خطايا المتعبين
فنحلم كالأرانب بالسلام ..
ليذبح حلمنا
سيف السنين .!

○

(٤)

تعبت وكَلّ ظهري
دثريني ..
وقوديني إلى بر الأمان ..
اتيتك مرهقا ..
وهواك ديني ..
وانت وسيلتى عبر الزمان ..
فإن دانت لك الأيام دوني ..
فدونك ..
لا زمان ..
ولا مكان .!

●

فى المهرجان

اليوم أدركت أن الصمت عدميَ
وأن الشعر سوقى وأنك إن تسالمني
ستسلمنى إلى الجلاد للموت
فأنا فقدت حصافة الشعراء
والفقراء ينتحرون صبرا فى غباء
يتحدثون عن الينابيع التى وهبتك .. قدسية وصدقا ..
أنت الذى أثخنتهم كذبا وتنكيلا وضنكا ..

اليوم أشهد أننى غنيت حمقى ..
فأنا أراهم يرقصون على القبور
يتذكرون دماء شهداء الهزيمة والعبور ..
لكنهم فى ظلك المقهور يحترقون حنقاً ..
إذ يلعقون حجارة فقدت هويتها .. وشعرا لايغنى ..
ويقبلون تراب وطن لا يقاوم ..
وتنوشهم بين التلال الطائرات
وخلف ذاكرة الزمان تذيبهم والأرض حرقا
فتموت ذاكرة الخراف ..
فلا هتاف .. سوى باسمك قاتلى ..
لا صوت يعلو
غير ضحكك يعتلى صدر المنصة ..

هذا حصاد يديك لا تجزع .. فإن الحقل مسموم ..
وطفل الأمس شاب ..
فى قلبه جرح من السم المذاب ..
وبحلقه المرور بعد الحبل .. غصة ..
طال الغياب ..
ورأيت قتلى مصر فى ورع التقاة الطيبين
يقبلون يد الصغار القاتلين .

●

حلم

عندما كنت صبيا حدثونى
أن أحلام الأساطير القديمة –
سوف – بالانسان – تحيا تتحقق
كنت غراً يارفاقى وأصدق ..
غير ما تبصر فى الأرض عيونى ..

○

حلقت روحى إلى آفاق بحر السندباد
وركبت الرخ فى التيه لأنجو ..
من يد الجن
وسيف الجند فى الطرق الخفية ..
قضيت الليل فى البيداء
فوق الشوك أغنى للقضية ..
أشعل النار
أغنى للشموس ..
التى تشرق فى حقول الانتصار الأبدية
حرة تقتص من الموت ..
ومن أحزان فقراء القرى
تحت رايات (البورليتاريا) الفتية ..

○

عشت أحلم ..
خبزة الحلم عشائى وغذائى
كأس خمر الحلم لساعات هنائى ..
تملأ القلب بأحزان صغيرة .. وقصائد .
صرت (جاهنشاه) .. صرت (بيدبا)
كانت الأحلام لى أمًا، وكانت لى أباً ..
فأنا كنت صغيرا عندما عن عودة
الأساطير القديمة حدثونى ..
فانتظرت الصبح نوراً يتدفق ..
من ثنيات وداع الأصدقاء ..
ومن المدن الفقيرة ..
من رحيق النرجس المهجور
والنهر القديم ..
من سحاب تائه عبر السديم ..
ايها الحلم الذى لم يتحقق ..
... كن حليما بى. ويا القلب ترفق ..!!

جثة للبحر

مقدر لسيف السخط / أن تمادى
تحققت شريعة الزمادة ..
فكن كما مقدَر للقحط أن يكون ..
مقابرا تخلد الجنود - أو سجون ..
××
دانت لنا يابنت سيد التجار والحصون فرصة الإبادة
فلتطلقى من قيد ضعفنا جياده
ليبدأ الشيطان بعدها مزاده
قد يستعيد مجدنا القديم تحت وطأة الجنون والرضا عناده
ككل هذه القصائد / المدائح المعادة
...
كان الجنود يركضون نحو شط الموت فى بلادة
وكان أهل الحل والهوى يثرثرون غافلين عن تلوث القمر
ويعلنون فى زحام المؤتمر
دعاءهم ودعمهم بالدم لانتفاضة الحجر ..
يعلقون الشعر فى إطاره
يعلبون طائر اليمين فى يساره ..
ويسجدون للمطر ..
فأبشرى يا أم عمرو وارقصي قد أنتفى الخطر ..
وها هو الزعيم يعلن السيادة ..
يصالح الذين أنشدوا لمجده فى حفلة السمر ..
يطلقهم من سدرة الجحيم ..

يقودهم إلى حقول النفط والعبادة
ممتطيا حمارة (الحَجّاج) مشهرا سيوفه ..
لكى يحق حقنا القديم ..
يقتلنا بذنبنا القديم ..
بجوعنا ..
ويرفض التحكيم أو إعادة النظر ..
يطارد التاريخ بين لجة البحار والسديم ..
يدس أنفه مفاخرا ما بين جبهة القتال والسجادة ..
فينزع الأسماك من خيشومها ..
ويفزع العقول من همومها وحلمها القديم ..
ويمنع المياة أن تجتاز شاطئ التمرد الوخيم ..
فيستكين البحر صامتا مراوغا
يكف عن حنينه إلى السفر ..
ويستحيل جثة تحرض الرمال أن تقاتل الشجر .!

●

احزان ناصرية من عام الردة

الدائم والمتبدّل ..

يتغير وجهُك - يتحول ...
لكن الجوهر يرفض أقنعة الزائل والزائف والمتبدّل ..
..
أتساءل ..
مبتسم أنت ولاهٍ ؟ أم محزون ؟ ..
..
أورثك الآلهة جراحاً صوفية
وسجوناً حجرية ..
أثخنك الحكام الخونة موتاً وجنوناً ..
..
تتقبَل كل المقدور
وتجتر الحزن على الموتى ..
صبراً - صمتاً ..
..
أبديّ أنتَ
أزليّ - أنتَ ..
باقٍ كالجبل ، كوجه الليل ..
وممتد كالنهر ، كأفق الصحراء ..
كحزن الشعراء
عميق كالآلهة بليلةِ جوع الفقراء ..
وجميع الحكام سحابات ليست ممطرة ..
تذروها الريح هباء ..

من منهم أنبت حبَة ..
أتساءل ..!
من منهم صنع حذاءً ، أو أصلح لعبة .؟..
من منهم فتح حصون المعرفة الرحبة
أو دمّر حصناً أغراه به الأعداء ؟
..
يأتون وباءً مجهول الأسباب
فيتغيّر وجهك
تتشوّه سحنة فلاحك
يتعثر ملاحك فى الصخر وفي الجوع
تتدثر زوجك بالحزن على الشهداء ..
ويقتل أطفالك فى السجن ، وتغتال وراء -
جدار الصمت الآباء ..
لكنك تبقى كالبحر - كشطآن النهر ..
وحكامك ، يمضون إلى النسيان
كدقات الريح المهجورة ، كالدخان ،
على الأبواب.
وأنت - تذوب كملح الأرض بأوردة الوطن المسكين
تودع أبناءك ذاكرة الطين
فيشرق وجه الأرض قصائد ..
يتفجر ينبوع الخصب رجالا تعبين ..
وينتثر النهر على وجه الصحراء .. سنابل ..
وحكايا ومواويل وأنشدة بلابل ..
يحترق الصمت فيحرق فى ساحاتك رايات المرتدين !
...

أوحى لي تعبك

أن البؤس مؤقت ..

أكد لي صمتك هذا القاتل - أن الظلم مؤقت ..

علمني حزنك ، صبرك ، حبك للأرض والأطفال

وعشقك للشعر وغفرانك لجنون الشعراء ..

أنك أبدي ..

والطغيان مؤقت .!

●

أمام أسوار كمشيش

أنا أحب قرية مصرية الأسماء والجراح ..
سخية المواسم ..
وكل عام نلتقي ، عند إعتناق الزهر والدم ..

حبيبتى تعطرت فى مشرق الصباح ..
إرتدت ثياب عرسها المؤجل ..
...
حبيبتى التى توردت وجناتها ، زهرًا وعاصفة ..
واحترقت فى لهيب الفاجعة ..
تفتحت نوارة
ما بين خنجر .. ومنجل ..
وواعدتني بين حد خندق .. وشط جدول ..!

جمَعت أحلى مالدي من قرى ..
وأغنيات ..
عطرت بالقرنفل الشعبي والأسى قصائدي ..
دعوت عمال النسيج والمناجم الفقيرة اللون -
إلى موائدي
سهرت حتى مطلع البحار والنجوم
عند ملتقى شوارع المظاهرات ..
حملت قلبى الصغير .. لافتة

صريحة الألوان والرؤى ..
وشمتها على يدى .!

على مشارف اللقاء كانت المباغتة ..
السجن صار الترعة التى تنقل ماء النيل عبر حقب محترقة
والمخبرون يأكلون السمك النيء تحت شمس دبقة
يغلقون فى وجوهنا نوافذ الحقول ..!

وأنا الذي ولدت ياحبيبتى مع النهار
عجزت أن أشق عن شموسك الحصار ..
تمزقت أصابعى على الجدار ..
وعندما تكالبوا علىّ كالوباء ..
كي ينزعوا عن أظافري ، قصيدتي الأخيرة ..
شاهدت لحظة إخضرار الرعب فى عيونهم ..
إذ يسمعون فجأة أغنيتى الزرقاء ..
ينشدها إليك ياحبيبتى البتول ..
عبر سهول العجز والقبول ..
طفل من الثوار فى - كابول ..!

أول مايو ١٩٧٨

خرافة إيسوب المصرية

« .. وكان إيسوب عبدا يحكي الحكايات
على لسان الطير والحيوان
وفضل الموت حرا على العودة
للعبودية ثمنا للإفلات من تهمة ملفقة ..
ولم يذكر التاريخ إسم مالكه
إلا لأنه كان يمتلك رقبته.
أما اسم القاضي الذى حكم
بإلقائه من فوق الجبل ..
فقد تجاهله التاريخ الذى خلد
للأبد خرافاته ..!

○

« إناَ علَمناه الحكمة من قبل فقبَل أعتاب الملك
وأكل رغيف الألمان
وانا رادوَه إلى مصر بليل كي يقتل حسادهَ
ويوم سيُنفخ فى الصور سنجمع من كلَ مواخير
الأرض حوارييه وأجناده ..
ليبيع على قارعة الرصفان .. بلادَه .. »
...

هذا ماقالته السعلاة البحرية للخنزير البريَ
وهذا ما أورده تقرير الأمن السَري

..

يتكدر وجه النيل وينشطر البحر
إذ يتجمَع كل لصوص الأرض على الشطآن اللاهية
وتموت الشمس على عتبات الفقراء
يتصافح أعداء الامس ليقتسموا - دون دماء -
أرغفة الشحاذين وأردية الرهبان ..
تنفجر قبور الشهداء
ترتفع على سارية الصبح المتجهَم رأس فدائي عربى .!

وتبشر مانشتات الصحف القوادة بالأحداث التاريخية
- ارهابىَ الأرجون تعشَى فى اسماعيلية عثمان ..
- ديان .. يزور الأزهر
كى يقرأ فى ذكرى بدر فاتحة القرآن ..
وليشهد حفل قران البنت الصغرى للسلطان
- جاءت راحيل تشارك هيئة لاستثمار العربيَ
الرقص - وتشرب نخب المدن الحرة والأحزاب ..
- إعتذر المسئولون إلى (بيجن) رسمياً
عن هفوات الكلمات الرنانة لغو اللغة
الوطنية والإستهلاك الشعبيَ ..

« ... قبَل كلب حراسة قريتنا ثعلبة الليل ، فأقعت
أغنام الحقل تداعب ذيل الذئب المتنمَر فى شبق
وسعادة ..

وانطلق الجرذ الليلَى يبشر غربان الصحراء بمحصول
ذهبىَ..
وأدفأ رجل تعباناً مسكيناً فى صدره ..
ولما لدغ الثعبان الخائن منقذه الطيب - مات ..
إختلف الشعراء وبكت النسوة حزناً ودَعونَ
الله ليرفع عنّا المقت ويعفو .. »

وضحكت أنا .. فطردت من الحفل ...
ولكني لست حزينا .. يا أصحاب ..
لن أبكى وطني .. أبدا ..

يبكى وجداً من أخذ على غرّة ..
يبكى ندماً من شارك فى صنع الأشربة المرّة
واستيقظ من سكرته فاكتشف أخيرا - أن
النيران التهمت دفتر أحلامه ..
يبكى غصصاً من أخفى تحت رداء الثورية
ذاكرة التجار
يتباكى من باع عذابات السجن وساوم
يوماً - بالأشعار ..
يتحسَر من فقد المقعد فوق منصّتهم
من كان يؤمّل أن يحظى بنصيب مُرضٍ
عند حساب فروق الأسعار ..»

...
إنىَ لا أملك إلا أن أرثيكم
يا من ضيعتم فى حلقات ردود الفعل أمانيكم

خلفكم البحر تلاطم فزعاً من ذلّ عذابات التاريخ ..
وحولكم العالم يرتج – وأنتم
ماذا تنتظرون ..؟
الكذبة تلو الكذبة تحملكم فوق جناح الوهم وترميكم
وعاصفة الجوع القادم لابد .. ستصفعكم وتواريكم
....
... أىَ كارثة بجوف الغيب توقظكم ..
تعرّيكم ..!

« ... ربتت عصفورة القمح على ظهر الأرانب ! »

.....
ياآل البيت المنتهك الساحات ..
يا أصحاب الأغطية المهترئة والأيام النكرات ..
يا من ترجون الصبح – الرزق
وترجون الظهر – الرحمة
والليل – السّتر
يا من تلدون الأطفال كما تلد البركُ الآسنة – البوصَ الريح ..!
يا من لاترجون اللقمة إلا حين تجوعون ..
ولا تجدون الراحة إلاّ يوم تموتون ..
...
ماالذي مات بقلب الشعب .. هل تتعلمون ؟!
« .... أكلت قطة جارتنا المتخمة من اللحم
رغيف كلاب الساحات ..
وامتطى الثعلب ظهر العنز
واشتعل الجنون .... »

فأجبني ياشيخ الكهان ..
يا من أغلقت كتاب الحكمة وغفوت بباب (الدكّان) ..
من يصلح وجهاً تعتكر على صفحته كلّ دمامات التاريخ ؟
من يعدل ذيل الكلب المعوجَ ؟
ومن ينتظر الخير على أيدى الخصيان سوى الخصيان ؟
من يأمل أن ترمي الحداة كتكوتا للأيتام
سوى من عاش على أسلاب السوق الحرّة
أو صدّق وهج البهتان ؟
من يأمل أن تأتى الريح من الغرب ببشرى تشفي الأحزان
إلا من شرب دماء الشهداء الفلاحين
وأنشب مخالبه فى أشلاء الأوطان ؟
...
« ... صهلت خيل الفرسان
فأشهرت السيف كتائب أمن السلطان ..
سُملت عين القبّرة الشادية ..
وقطع لسان الطير المبصر ..
قتل الخوف الإنسان .. »

فاسمعني يا من تُضمرك الريح ويُضرمك لهيب العار ..
تشبث بجذوع الأشجار
إضرب فى عمق الأرض جذورك ..
عمّد قلبك بالنار ..
وانشر فى عاصفة الأحزان الشعبية
أشرعة سفينتك الليلية ..

قد يهدأ ألمك

قد تعرف ..
لا تبك .. ولكن .. إنزف ... شعرا ..
وتمزَق بشرا ... أحياء ..
واقذف فى وجه جميع الأسماء
بما تعرف ..

إن ملاذك – قلمك ..
وانتظر الأنباء ..
فإن جنونا فى رحم الغيب ... يكون
ويأتى – قارعة ..
ليزلزل صمت الأشياء .!

●

إشعار أخير للوطن

يرحل عنى الأبناء
أبصر أياما قاتلة
أسمع أغنيات سوداء
صم بكم عمىً – أنتم
لستم أهل الشعر ولستم ثمر الشجر المروىً
بماء الشهداء
فانتحروا صمتا
صبراً ..
موتا ..
إني أبحث عن شجر ينطق بالأنشدة الرافضة
فلا أبصر إلا رمل الأنشدة الخرساء

صخر فى الطين
وصخر فى الماء
وصخر فى الصخر

نهرب من صحراء الفقر إلى صحراء الخوف ..
وهذا قدر الفقراء
فدعينى أرحل يا محرقة الشعراء ..
أسن الدم بشريان الوطن المغتال ..
فطوبى للطير الرّحال
وبشرى يا أصحاب الأرداف المحشوة بالوهم التاريخيَ

فلن يحدث الأرض قتال
وحين يمر الموكب محتزا عنق مدينتنا الألفيّة
سوف ندير الظهر ونمتنع عن التصفيق
وساعة يحتدم الجدل ..
سنمتنع عن التصويت ..
ولو حق القول ..
وجرّد هذا النيل الفحل وطرح الأمر للاستفتاء
سنقبع في الأروقة الرطبة
ندعو آلهة الصمت تشاركنا الحفل
ونعلن دون استحياء
أنّا من زمن كنا نتنبأ بالصاعقة
وكان الجهل يحاصر أفئدة الدهماء ..
ولكنّا .. والحق يقال :
قلنا حين التبس القول ..
وصحنا حين تشابكت الطرقات
وتلوينا تحت سياط الرغبة بين العجز وبين الفعل
فلم تنبت حكمتنا خبزاً في حقل البسطاء ...

آه .... يا ابناء الزمن الخوف ..
يا أصحاب الأقلام الجافة وحروف الصرف
عرفت الآن السر وراء هزال الأيام ..
وسر عزوف الصخر عن الأشعار
وشجر الرفض عن الإزهار
وسر الصمت الموغل في الفقر وفي الصحراء ..
..... الكلمة كانت في البدء
وكان الحرف الإنسان ..

والآن .. صار الإنسان الحرف ..
فطوبى لزمان الضعف المتدثر فى ثوب الأحزان ..

ياوطنا .. يتمزق فى اطمئنان
تحت الأقدام الفاعلة وتحت سطور الكلمات الأشلاء ..
إرحل عني ..
إنى لا أملك لك شيئا ..
غير الدعوات الكلمات ..
والأشعار الكلمات ..
والقلب الحرف ..
فاحفظ فى ذاكرتك أسماء الشهداء ..
إنى ملتزم مقبرة القدماء ..
فإن يُنفخ فى الصور تذكر ..
أنى قد اعطيتك ما أورثنى حبك ..
من ميراث العجز الوطنى ..
حقول الشعر المجدبة وكتب الفلسفة الجرداء
وخبز المنتهكين ، وأحلام الأطفال ..
وسيفا أثريا لم يقطع رجل بعوضة
فاحملني فى ذاكرتك يا وطنى ..
حتى إشعار آخر ..
فإذا ما النيل تكدر ، واعتكر ، وفاض على جدران الصيف
وانشق الصخر من الهول الآتى وتكسّر
فتذكر ..
أن تلحقني بقوائم قتل الشعراء ..!

البكاء على أطلال معتقل قديم

١ - المرأة

يأتي الحب فجأة فأحترق
بعيدة عيونك - البحار نائية
أراك خلف حائط المحرمات قبلة وبرقا
تأتين بين الظل والعذاب - أمنية
تأتين بين صيحة السجان وارتعاشة السكين
تأتين ترحلين - فجأة
وقلبي الفراغ حائط من السكون ..
يهوي كطائر الأمطار لحظة احتراق الشمس
أو تعثر الخطى ..
خلف موكب الجنود في توتر المساء
تأتين - ترحلين ..
أحس لسعة الجحيم في الأوامر الحجرية ..
وفي رنين الصمت
والسلاسل الصخرية
وفي تواطؤ الحديد والظلام ..
وفي تباطؤ الدقائق - الجنون ..
تأتين - ترحلين فجأة في الليل ..
كالمشاعر الخفية .!

○

٢ - الغناء

يأتى الشعر إلىَ ..
ساعة يرتكز الليل على كتف الجبل يراقب شمس التعذيب ..
تهبط كاللعنة فى قنوات الدم
يرسل صيحات الجوع إلى شجر الخروع ..
يتكاثف فى صدرى ..
تخنقني ظلمات الإنكار
وجهالة كهان القيصر - خصيان السلطان ..
تجمع أوشاب العقل وعفن الأفكار
تعلقها فوق الجدران ..
يأتي الشعر إلىَ ..
تزهر أزهار الحنظل فوق عيون رفاقي المرهقة الأجفان
يأتي الشعر إليَ على أجنحة الاستشهاد
أغنية للثورة يأتي
وينام على ساعديَ المرهق طفلة وبرتقالة ..
يتفتح زهرة حمراء فى صحراء لاستحالة ..
يكتمل ويرحل عن شفتي ..
صرخة أو بندقية ..!

○

٣ - الوطن

تأتى مصر - إلىَ
فى عمق الصحراء المعتقلة ..
تأتى مصر إلىَ - سنبلة من قمح الفقراء ..
تتجاوز رد الفعل - وتأتي ..
تعبر وهم الشعراء

وتأتي ..
مثقلة بالوعد كطير الرعد ..
كأشجار النار وأفران الصلب ..
كرحم الأيام الخضراء ..
تصارع سِفلة مختلقي الكلمات وتأتي ..
تعبر أرصاد الخونة وعيون الأمريكيين بسيناء ..
تأتي مصر إليّ ..
تتعثر في أحذية الجند وتأتي ..
تتلعثم في أوراق التحقيق ..
وتأتي ..
تثقب قلبي ..
ترحل أغنية في لون الحزن ..!

○

٤ – الذكرى

يأتي السجن إليّ ..
من شطآن النيل الراكد
من أحضان حقول الحنطة والشجر المستسلم
...
يلد العقم الصمت
ويلد الصمت النسْوة المسترجلات والرجال المتعبين
...
يأتى السجن إليّ
من بين ركام الكلمات الخرساء
ينشدني شعرا ثلجيا منطفئ العينين ..

يوسدني في الأركان السوداء نفايات التاريخ
وخطابات العرش
أبادل باللقمة ضحكات السجانة ..
يسخر مني الزهر الحجري ، والصدف البحريَ الأعمى
ومياه العين الساخنة وطفل الواحة ..
تحاصرني مانشتات الصحف اليومية ..

يأتي السجن إليَّ ..
يقبل من كل مكان نحوي - لكن
لا يرحل عني أبدا ....

○

٥ - دورة الحياه

يأتى الموت إليّ ..
يقتل الحب على صدري ويرحل ..
يقتل الشعر على مهل كنازيَ أليف
أو كأعرابيَ عصر الذرة المخمور في حانات لندن
يقتل الشعر على مهل - ويرحل ..

يأتي الموت إليّ ..
يتسلل فى الحارات الضيقة ويصعد فوق الأسطح ..
ويضاجع مصر بلا خجل تحت عيون الأطفال ..
كي تنجب مسخاً آخر

يرث المسخ السابع بعد الألف ، يسد الأفق ويرحل ..
كي لا يرحل عني السجن ..
كي لا تأتي مصر إليّ ولا تكتمل على شفتيَ الصرخة ..
أو يحرقني الحب ..
ولا يأتي غير الموت - إليَّ ...

لكني مازلت أغني ..
مازلت أقول الشعرا ..
فليأت الطوفان - الموت - ليأت
مازلت يفاجئني الحب ، فاحترق بلهيب الحزن
وما زالت مصر -
تتعثر في جثث الشهداء ، وتأتي لي ..
سنبلة من قمح الفقراء ..!

●

أحزان ناصرية من عام الردة ..

«... وعندما مات محمد رسول الله
قال أبو بكر قولته المشهورة
لما رأى ما صار عليه حال المسلمين
- من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ..
ومن كان يعبد الله فإن الله حي .. لايموت ..»

○

فإذا ما انقطع الخيط الواهى بين الخطوة والموت ..
بين دهاء الخلفاء وأحزان الشعب
أمدد لي كفيّك
لا تشهر سيفك في وجهي
عبد الناصر .. مات .!
فهل نأمن غدر التحكيم
وكيد ابن العاص عظيم ؟..
وأشاعرة العرب يراؤون دمشق
ويحيون القيم الرومية ؟!
هل نأمن غدر التحكيم ..!
والكذابون يبيعون هويّات الصدق المتبتّل فى المؤتمرات الرسمية ؟
والقوادون على شطآن البحر الأبيض يتعاطون حبوب الوجد الوطنية ؟

هل نأمن غدر التحكيم ..؟
والنخاسون احتشدوا في أسواق المدن الحرة
يضعون خطوط التقسيم
ويخفون بليل رائحة صكوك الصلح
وتسوية الغفران ..!
هل نأمن غدر التحكيم ؟
ومعاوية يفاوض مكة
يستقبل أشتات السفراء
يبايعه كل أباطرة الأرض وتحمية سيوف الأمراء ..!

يارب الفقراء أغثنا ..
هذا ابن رسولك يرديه العطش يموت على صدر الصحراء
ظمآنا ، يقتله الشوق إلى قطرة ماء ..
والنيل على مرمى حجر ..
لكن التجار يسدون الأفق يساندهم جيش الأعداء ..!

○

ها هي ساحات المنشيَة خرساء
لايسمع فيها صوت الأنصار يزلزل عرش الكفار
نهار التأميم ..
تستيقظ مرهقة ، تفرك عينيها
تتذكر ..
تصحو ..
ما أن تنطق
ما أن تتناقل خافية الأنباء ..
حتى تدهمها أحذية الأمن الأموى وفتوى التحريم ..

وتجبرها شرطة أوكتافيو أن تتزين
أن ترقص قهرا .. حين تمر طوابير العملاء
أن ترقد قسرا ، ليضاجعها تجار الأقمشة المسروقة
والأحلام الوهميه ..!

○

في الثامن والعشرين من الشهر الباكي
خرجت باب الشعرية حاسرة الرأس
تودع حلماً غيبيًا ينبت في أرض الواقع
ليموت على صدر الشارع .. مهجورا
تسحقه قبة عابدين الجمهورية .!

عبد الناصر ... مات ..
فليرحل عناَ من يعبد عبد الناصر ..
وليتقدم من يحمل سيفه ..
من يمسح في بردته الشعبية أوهام تردده ..
من يقتل خوفه .!

○

ياآلهة الخبز الأسود والحارات المجهولة ..
يا من لا تملكن سوى الاسماء الخشنة والأطفال البريَة ..
يتكاثف في الميدان المحزون ظلام .. من قرن الذل ..
يجندل أبناء كالأشباح ضحايا للسلم الوطني
يختطف صبايا ، إستولدهنَ الجوع - عظايا ..
كي يصبحن شهود الردة
ويصرن جوارى عصر البترول لذهبي .!

○

عبد الناصر مات ..

لايزهر حقل الحنطة في الرابع من فبراير ..
(ميت سلسيل) يعذبها الخوف ويهجرها الحلم !
فعيون الوالي عادت تستيقظ في منتصف الليل
لترصد كل الأبواب
عادت أشباح الموت الأسود تتعقب خطوات الشغيلة ..

كانت قريتنا تأمل يوما في كسرة خبز تبعد غائلة الجوع
وتقتل صيحات الشرطيَ الرابض
فوق الجسر، يقسَم أرزاق الناس
كانت تدفع من دمها راضية ليعيش القمح
وتحلم بالنوار الآتي ..
عبد الناصر مات .. ومازالت تحلم بالنوار الآتي ..
كانت ترسل أبناء للحرب، تضيع ببرية
سيناء ... وتحلم بالنصر الآتي .!
عبد الناصر .. مات ..
ومازالت تحلم بالنصر الآتي ..
تحلم بالثوار ..!
كانت تتهجىَ الأحرف ..
لا تفهم أكثر مما تعلم ..
ترسل أبناء للجامعة وللمصنع وتغنيَ للسد العالى
ولأوراق تحمل وعدا .. ينبجس من اللجةَ والمجهول
يتفجر فى أعماق الطين ويزهر فوق صدور العمال ..

كانت قريتنا تحلم، لما عبد الناصر مات ..
ومازالت تجمع أشلاء الحلم واشلاء الشهداء

ما كانت تعبد عبد الناصر ..

لكن .. كانت تحلم بالقمح

وبالنصر الطالع من أعماق الجرح ..

وكانت تنظر في عيني ناصر ، تقرأ

تحفظ ما تعنيه الكلمات ..

وتقاوم خوفاً مجهولا

وتصارع رعبا تعرفه

يسترق السمع ، يلص الخطوات

ويطارد أحلام الفتيات

يتسلل مستترا بوشاح السلطة كي ينبش قبر الموتى !

○

عبد الناصر .. مات ..

قريتنا عادت تدفع من دمها .. ويموت القمح

قريتنا تفقد عذريتها ، كي تنجب أطفالا .. لا للحرب

ولكن لبيوت الأغوات ..

وبنات يتقن لغات الأسواق الحرة

والرقص

ليدعمن الدعم الأخوي

ويحمين العمق بكل الجبهات .!

○

يا رب الفقراء أغثنا ..

فبنات بني هاشم يؤخذن سبايا

كي يتشفي أحفاد بني سفيان .. ويرضى الروم

ويغفر عملاء الفرس ذنوب العرب الأولى

والفلاحات يسقن عرايا لخيام رعاة الإبل

وتجار الزيت

ورياح الردة تجتاح الصحراء ..
تشوه وجه النيل ..
تداعب أحلام البيبسى – تقتل أهل البيت
وعبد الناصر .. مات ..
فليرحل عناً من يعبد عبد الناصر ..
من يخشى أن ينقطع الخيط
وليتقدم من يحمل سيفه
من يمسح في بردته الشعبية أوهام تردده ..
من يقتل خوفه .!

○

فامدد لى كفيك
لاتشهر سيفك في وجهي
كي نأمن غدر التحكيم ..
ولكي ننظرفي عينيه كما نظرت قريتنا المرتعبة من هول قلاع
معاوية ، وتدبير أشاعرة القرن العشرين ..
وكيد ملوك الزيت ..
ولنحفظ عنه كما حفظت ، ما تعنيه الكلمات .!

أمدد لى كفيك ..
لا تشهر سيفك في وجهى
كي نحتمل فداحة إكمال المشوار ..
ولكي نجمع أشلاء الفلاحين القتلى من سيناء
ولنطلق أغنيات التأميم تزغرد في ساحات المنشية
أمدد لى كفيك ..
لنحرر عصفو الحلم المصري ، يعود يرفرف ..
فوق حواري ميت سلسيل – وباب الشعرية.!

●

قصائد من سبتمبر القاتل

فى شهر الآلام الذى بدأ بموت صديق وانتهى بتمزيق أحلام مصر فى كامب ديفيد يعتصر قلب الشاعر منا صراع اليأس والأمل ..
فأناشيد اليأس يحاول القلب أن يحتمى منها بما يفجره اليأس من إيجابية الوعى والرؤيا. وأغنيات الأمل تحاول أن تشد القلب فى اصرار بعيدا عن براثن التفاؤل الساذج. ولعل الشعر يعبر بالقلب تلك الهوة الفادحة بين سبتمبر واكتوبر وتلك المسافة بين اليأس والحياة وبين الفعل والبكاء.

○

مرثية العجز عن البكاء

أخفيت فى صدرك المبهور أوراقى
وجئت أسأل من تعب وارهاق
فى أى وعد ستأتى ؟
وبأى زمن سيشرق صبحك الآتى
مع أى ريح تعود ؟
وبأى عذر ستغفر ذنبنا - لتموت ؟!

علمتنى أنت ألا أسأل الجانى
من فرط ما تخلق الأحزان من سبب
عودتنى ، لا أرد عن الأبواب أحزانى
من فرط خجلى من الإنسان أو أدبى
فأنت مذ عدت عبر سنين القهر محترقا

مضيت من لهفة تحيا على عجل
لا وقت عندك موكول لنسيان
تسابق العمر، تشعل ومضة الأمل
ما بين زهد وتحريم وكتمان
تعيد حلم النبيين الذى ولّى
وفى ثقة
وكأن حلما تجلى
تمضى بقافلة عرجاء فى اللجب
تحصى الفواجع فى صمت وتخفيها
عن أعين الطفل حتى يزهر الشجر
ويورق الفجر كالأحزان
مخضرا على مهل صبحا لمصر
ويزهر فى بواديها
ثقة وحلما تصليها - وتنتظر
لتكف عن سعيها رحالة السحب
وفوق جدب الليالى يسقط المطر .!

ولأننى مجهد عطشان ، ياساقى
ويرغم أنى رأيت الموت يرقبنا
قدمت فى حضرة القديس أوراقي
قد يقنع القلب
بالأسلاف والنسب
أو ترتوى من بحار الحزن أشواقى

ما طعم قبلة طفلك الأول ؟
ما لون عينيه ما شكل ابتسامته ؟

فى الصبح تخرج مهموما على عجل -
وَدّعتَه اليوم أم ودعت لعبته ؟
لتعود فى الحلم طيفا شاحبا قلقا
طعنته فى القلب - ياليلى - فجيعتُه !

هذى الأكاذيب ياليلى تعذبنى
هذى التفاهة والاشعار والمرض
هذا الهوان وهذا البؤس والجشع
هذا التظاهر والتبرير والغرض
يزلزل القلب
هل فى العمر متسع ؟
ليصنع الآخرون ما ضاقت به سبلى
أم أننى قد اضيع اليوم - يا أملى
ويضيع قهرا وغدرا - عمرى الباقى !!

من ذا يجيب سؤالى - إننى ضجر
الصمت أجدى ضجيج السوق يمرضنى
والبيت خلف سياج الريح ينتظر
والأفق مريد
والشوق معتكر
- كل الهموم أمام القلب واضحة
ولن يكون غريبا أن ترى رجلا
يمشى وحيدا يغنى فى جنازته !

تحليل معتدل لأوضاع مقلوبة

ورسالة عاجله إلى سليمان الحلبى !

كن على قدر المصيبة
ليس بعد الذبح من جرح - ولا
بعد موت القلب من أرض مهانة
كن على قدر الإهانة
إن صمت الحزن لايرجع فرحة
والرضا بالجوع لا يطحن قمحا
وأكاذيب قضاة السوء
لن تصنع من هوان النفس نصرا
أنت رددت بلا وعى مع الأعداء :
قول الرب - مصرا .. اهبطوا
وبكل الوعى هبطوا

كنت ف دارك حين ارتجت الأبواب
يوم انشق صدر الليل عن عارك
وتبول الغرباء فى محرابك الوطنى
هتكوا ستر أسرارك
سلمتهم برضاك ذقن إلهك المسكين
ثم قرأت فاتحة الكتاب
على أرواح من قتلوا
والآن تجهل أن قارعة الحساب
تكاد مثل البرق أن تصل

فتدب فى الأرض مختال الخطى مَرِحا
يتبعك كالظل روح الجدب ، والمحل
تستنطق الطين تبريرا لإنكارك
وتعوذ بالرب من شيطان من ذُبحا
ليموت حلم الصبا والحب فى قلبى
ويجف نيلين من إذلال أشعارك :
(إسطع بنورك مشرقا بين الملا
أشرق بطلعتك البهية فى (تلا)...)
آه ... لا ..
فلتسُملي عينىَ يا ايزيس كى لا أبصر المسخ ، الاله
ولتبق حورس فى عباب الغيب
لاتتعجلى :
فالصبر مفتاح الحياة
... وآه ...
ياذل الأساطير الغبية ألف آه
آه من رخص بهية
أين كان البدء ما دامت على كفيه ترتعش النهاية
أنقذينى من مآل السوء ياشمس البداية
أتقن الشعراء عبر عصور نكبتنا التغنى بالجرائم
أتقن الكهان تبرير المظالم
جعلوا التاريخ يخفى وجهه رعبا
ويخشى أن يصدق
أن إنسانا سويا يهتك الأعداء أمه
ثم لا يصرخ ذلا ،
أو يقاوم ..!

لست مبعوث العناية
لا ، ولا خير البرايا
لا وليس السيف لعبتى التى أزهو بها بين الأعاجم
(نحن لسنا خير أمة)
وأنا من ألف عام ، كنت وال من ولاة
الجهل ، مملوكا ولصا - كنت حاكم ..
كنت مدّاح ملوك ظالمين - ولست شاعر
كنت سراق بهائم
كنت نخاسا وجلادا وقوادا وتاجر
كنت أستحوذ يوم النصر من جيشى
على كل الغنائم
كنت زمبيل مفاخر
من جلود الكافرين بُسلطتى
حصّنت قصرى بالتمائم
وصعدت العرش مختالا على تلّ جماجم
لا من رؤوس خصومىَ الأعداء ، لكن
من رؤوس رفاقىَ الأحباب والمتزلفين
واقرّ العالم اللوطىَ أنى -
كنت حتىَ الآن والتاريخ يشهد :
خير من طوح فى الطين العمائم .!

إيه يا وهج الخناجر من ثنيات الظلام !

يشرق الصبح على مصر
فيمضى أهلها للرزق يرجون الرضا

تقصد النسوة أبواب الكرام
يكشفون الستر - من سقم - لأصحاب العطايا
يقصد الحكام أبواب الأعادى
يخفضون جناح ذلهمو - من الخوف -
لجرذان البرية
وعلى الفقراء والشعراء من أطفالها
يستأسدون
آه ياذل العطية
آه من عار بهية
إذ يصلى شيخ أزهرنا ويدعو فى رحاب البنتاجون
أن يصون الرب عدل الشاه من غدر
وأن يحمى قوى الأمن ، ورأس المال
ويرعى سادة الدنيا - فلا هم يحزنون ..

يشرق الصبح على مصر
فيمضى أهلها للسوق يبتاعون ما باعوا
ووهماً يشترون
ويجئ الليل يغشانى الجنون
إذ أرى آباءها ينسون أن عيالهم
جاعوا -
برغم الغيث - إذ هم يسرقون
وأن أرضا فى ضمير الشعب - نبض القلب
محتلة .!
وأن دائى - طبيبى - صانع العلة
وأننى قد أموت اليوم محترقا

لعل القوم يوما - ذات يوم - يفقهون !

وتريدنى أن ..
وتنصحنى
لأبقى فى سباتى
أكتب الشعر وامضى
أنجب الأطفال والقصص الهزيلة
وأغنى نافضا عنى تفاهات حياتى
لأفاخر الدنيا بأوساخ القبيلة
أكتب الخطب المؤثرة التي أرثى بها
أطفال بيروت القتيلة
وأناقش الجوعى لأقنعهم بأهداف نبيلة
بضرورة الأحزاب والصبر الملح
وأحضَ عمالا - تخلوا عن هويتهم -
على الإضراب والصمت المسلح
وأسير مزهوا
وفوق الصدر تبرق شارة العودة
لأشاهد النسوان فى مرح يدقون الخيام
لرجال هولاكو - وقمبيز - وديان - وارامكو
وعثمان الأمين
فأعود محترقا إلى بيتى لأخفى
- آثار أشعارى وأحلامى ووجه بناتى
- عن عيون الفاتحين !

ماذا فعلت ؟
لأحمل الاهرام والصحراء فى صدرى

واستجدى المطر
أو كل هذا الحشد من تاريخنا عبث ومحض
حكاية تروى لتسلية الولاة
أو كل هذا اللحم والدم والعظام
- نفاية سنحت على طول الزمان
ليبشم المتبطلون ؟
أو كان عبثا آل ياسر موتكم -
وعذابك القديس لغوٌ يابلال ؟
ولأجل من جالدت نفسك ياعمر ؟
وصُلبت ياغيلان
وانتثرت دماؤك ياحسين ؟
ولمن شهرت السيف ياطومان دون القاهرة ؟
خسئت أمية - إننى بك أستجير
ولحد خنجرك الأبى - يا حلبيَ ألجأ
لا نذا بك - أن أجرنى ..
فأنا تعبت ..
لا من مواجهة العدو تعبت ، لكن
من وساخات الأقارب
من أشعلوا بمنابع اليرموك والأردن
غاشية الدماء
من سهلوا لجنود واشنطن غزو المزرعة
من سلموا غسان للذبح المباغت -
ثم شربوا نخب عودتهم كراما آمنين ..
وتعلقوا بحبال مكة أن ستنقذهم

شفاعة نفطها يوم القيامة
من لوثوا النيل ودقوا حول شاطئه خيام الغاصبين

أنا تعبت ..
لا من منازلة الأعادى إنما -
من عار نسبى للأمير
إيه يا وهج الخناجر من ثنيات الظلام
خسئت أمية
إننى بك أستجير
ولحد خنجرك المقدس - ياسليمان
أصلى
فليحترق فى الشمس
يلمع فى لهيب من عذاباتى وغلَىَ
وليخترق ليل الضياع كبارق
ليشق صدر الخائنين !!

القاهرة سبتمبر ١٩٨٧

أنشودتان فى ذكرى أمير الحرب الوطنية

(١) أنشودة بائسة . .

فى يوم موتك يا أمير الحرب تسقط قريتى ،
ويهلل العميان في وطني لأصوات الطبول ..
إذ لا يرون جنود أعداء المدينة ، يرفعون
على منارات المساجد ، راية السلم المذل،
فإنهم لا يبصرون ..!
(راحيل) ترقص في حوارى القدس ، تدعو
كل أطفال التشرد ، للرجوع ..
(راحيل) .. تضحك ملء شدقيها ، على
بوابة القدس القديمة :
- ليس بعد اليوم جوع ..
سينا ستصبح جنَة السلوى وأرض
المن يا سفر الطلوع ..!

في يوم موتك يا أمير تقطعت كل الخيوط ..
وتهدمت في ساعة الندب المعذب كل أعتاب البيوت ..
وتقابل الجمعان من أبنائك المتربصين ..
كل بإسمك يحتمي ، كل بأهلك يستعين ..
والشعب أرهقه التزام الحزن ، فالتزم السكوت !

أنا لا ألومك يا أمير فهكذا صنعت يدانا ..
أنت الذي دبرت إذ قررت موتي ..
وظننت أنك قد أتيت بما تحيَر في رؤاه الأولون
وأنا الذي بشرت إذ آثرت صمتي ..

وظننت أن الفجر يأتي عبر أمواج الظنون .!

رحماك ياذكرى أمير الحرب ، إن السلم يقتلني ، مع أنني ما
كنت قرصانا يعيش على بقايا الجيش ، يوم النصر أو
يوم الهزيمة ، ما كنت صاحب شركة أستل ربحي
من حقول الموت ، أو جثث الجنود . ما كنت والٍ يستبيح
لنفسه ذبح الجيوش ، لينفخ الصدر المجوف بالشعارات
العقيمة ، ما كنت حتى شاعرا يهوَى مفاخرة القبائل
بالتواريخ القديمة ، لكنني أحسست منذ الصيحة
الأولى .. بأن السلم .. هذا السلم يقتلني ..
ويسلمني إلى الأعداء ..
وأنا فقير الحال ، لا مال ولا خنجر ..
سلب اللصوص مدينتي ..
ولغت كلاب الأرض بالت في إنائي ..
وذبحت بعدك يا أمير الحرب ، وانتزعوا سلاحي ..
خلفاؤك البطرون ذبحوني .. وبشموا من دمائي ..
من يوم أن فارقتنا ورحلت عنا ..
وتركتنا إرثا عديم الحوْل ، محزون الغناء .!

والآن يا بطل العروبة يا أمير المبعدين ..
هذي مواعيد اللقاء المرقد عادت إلينا ..
لا مثلما عودتنا في كل عام ..
بمواكب الفقراء ، بالصحف التي بشرائع العيد المؤجل
تزدهي .. بملابس الأطفال ، بالخبز العصي .. وإنما تأتي لنا
بالصمت ، والسجن ، والأحزان ، والموت المقنع ..!

ربما .. خلفاؤك الأوغاد كبروا -
أتقنوا الصنعة صاروا في أمور الحكم - أجدع .!
وتمرسوا بسياسة القطعان صار القلب أشجع ..
ولذا ، بلا خجل ، وفي ذكراك ، برئوا منك أسرع ..
باعوك فى سوق الندامة ، أسلموك إلى الأعادي ..
ودعوهمو كي يشربوا نخب اندحارك فى سلام ....
....

الآن في مرح ستذكرك الصبايا ..
فى سوق (تل أبيب) أو في ساحة الأزهر ..
فأنا أرى - راحيل - تجمع كل صبية أورشليم ..
ليشاركوا خلفاءك الأوغاد فرحة - ما جنينا -
أنت الذي أسلمتهم أسرار مجدك
- عامدا أو غافلا - فات الأوان
وأنا الذي مازلت أستجدى الزمان
مشاعرا .. لك أو عليك ..!

سيمزقون على ضريحك .. جثتينا ..
سيمزقون ...
على ضريحك .. جثتينا ..!

○

(٢) أغنية للأمل . .

«.. مثلما يحدث فى القصص الرديئة
قتل المخرج أبطال الروايـــة
رتب الصدفة كي تبدو بريئـــة
فانتشى الجمهور من عنف النهاية ..»

أيها الساذج يا شاعر ليلى
هل أتتك اليوم أنباء جديدة ..
فعصرت القلب كي تنهى إلى العالم ،في حزن ، قصيدة .!

ها هو التصفيق يأتى عبر بحر من مذلة ..
فاختتم الحفل بصرخة ،
إنتزع حقك في أن تستغيث ..
فصراخ الرعب عند الخاتمة ، كان حقا
للجماهير المهانة ، ولثوار المقاهى النائمة ..
عندما تعلن حيثيات أحكام الإدانة ..!
ولأطفال الغد القادم .. لما .. تسقط اللعنة أمطار
الخيانة .. ويضج الشارع المرهق بالهتافات السعيدة ..
تعد الجوعى ، بأوهام جديدة ..
إختتم الحفل بآه ..
صافعا ليل التمادي والتغافل والمهانة .!

لست أدرى .. كيف تنتحر الشعوب ؟!

فأنا لم أقرأ التاريخ بعد ..
ولم أزل .. عاطفيَ الروح، طفليَ الرؤى ، عثر الخطوة
فطريّ الذنوب ..!

آه .. يا من يشترى منى .. حدائقى الفقيرة ..
ولياليّ الفقيرة ..
لأرى يوما .. يوافينا الصباح المر بالرعد الغضوب ..
يوقظ (المصرى) من غيبوبة ، قتلت فيه التحدي ..
ورمت طمي الخصوبة بالنضوب ..!

إيه يا ريح الجنوب ..
كم تواعدنا على بوابة الستين ننتظر العلامة ..
ليس بعد الصمت غير الموت أو ... رعد القيامة ..
إيه يا ريح الجنوب العبقرية ..
أسمع الطبل يدوي في ركابك ..
وأنا المشتاق للرقص على أنغام غابك ..
تقتل الأحزانُ قلبي ، إن يطُل بعدُ غيابك ..
فخذيني أحضن الخرطوم
غيما ومطر ..
أصعد النيل جذورا وشراعا وخطر ..
إيه يا ريح الجنوب .. الغجرية ..
إرحلى عبر الصحاري والهموم العربية
ليس بعد الجوع من كفر وذنب ..
أيقظي جيش الجياع ..
ليس بعد الصمت ذلا .. من خطية ..

أنقذي الثوار من موت قريب وضياع ..
إملأي صدري من عطر لواندا ..
إنني أبصر خلف الغيم - محجوب - يغني ..
قاتلى .. يقتل نفسه ..
قاتلي ..
يقتل نفسه ..

ليس هذا الفصل ياصحبي نهاية ..
فالبداية ..
مثلما يحدث في الخرافات العصية ..
في دروب الغابة العذراء رغم العقم تولد ..
كأساطير المواقيت الخفية ..

أيها الشاعر يا مجنون ليلى ..
إبدأ الحفل بصرخة ..
إنتزع حقك في صوغ الحكاية ..
فصراخ البدء حق للجماهير الأبية ..
أبدأ الحفل بآه ..
حرة الآلام .. تنهى غربة الكلمات
في الأرض السبية ..!

●

جريدة حائط مصرية

عن اغتيال كمال جنبلاط ..

افتتاحية

لاتيأس يا أبتاه
موعدنا في زمن آخر ..
الهند بعيد شاطئها هذى الأيام ..
لكن القدس قريب ..
يا أبتي القدس قريب !!
دونك والهند تواريخ الدم والحقد وتل الزعتر
والمسخ الدّجال وجبل الأوهام العربية ..
لكن القدس قريب !!
حولك نهر الأحزان اللبنانية
والوطن سليب ياأبتي والصمت كئيب
ولذا فالموعد قد يتأخر هذاالعام
الأخوة قبل الصبح اختلفوا في تفسير هوية
موت الإنسان ..
والأعداء إئتلفوا .. إتفقوا ..
ألا يبحر قاربك المكسور المجداف سوى للموت
أو النسيان !!

○

تعليــق

تحمل برقيات التعزية ملامح برقيات الانذار
السادة كانوا يقتسمونك حيًا ..
الآن سيقتسمون العار .!
شوك للقديسين وسم للثوار ..

ويل للباكين المحزونين عليك ، من المتباكين
على أطلال بعلبك ، والأغوار !

○

بــــلاغ

يتخثر نهر الدم
تجف عيون الماء ..
ويربض فوق بساتين اللوز هدوء الموت ..
هذا صاحبكم أسلمه الأهل إلى (بيلاطس) رسميا
إغتالته جرائد سلطان الصحراء وأقلام الخصيان
إغتالته على صدر الفقراء ، أموال ولاة السوء
وقوات الأمن السرية ..
إغتالته على صدر الوطن المذبوح ، بلادة
حس الحكماء ..
ومحاكم تفتيش - عقول الشعراء - العربية .!

○

عناوين رئيسية

بيروت ترقص فوق بحر الروم لاهية عن
الموت المسافر في بطاقات البريد .. و
تبادل التجار والعربان نهديها بأرغفة
القديد ..!

مازال فخر الدين يرفض أن يساوم ، و
صنيعة الغازين يرفض أن يقاوم .!
وجميع أبناء الخيانة يصنعون قنابل
النابالم من مرق الثريد .!

○

تحليل إخبارى

كانت القاهرة الكبرى تغني (قدَك الميَاس) فى قصر
الرئاسة. وإذاعات خليج الزيت والغلمان
تهتف في حماسة .. ارتدت (عمشيت) ثوبا
عربيا ، جدد الأعراب قاموس السياسة
تخرج الفتيات بالرشاش للموت .. وشيخ البيت
في بيروت يحتكر النخاسة .!
.... وتبادل السفراء في كل البيوت
البيض نخب النصر ، سخروا من تعاليك

○

وحزنك . ومضى (السادة) يغرقون الريف
فى ليل التعاسة ... ثم يهدونك مبتسمين
فى ثقة - رصاصة !

○

دراسة تاريخية

قيل فى الكتب القديمة :
أنه يوما ستشهد أرضنا زمنا ،
يصبح الإنسان فيه ، صرخةً أو رقماً ..
فالذي يصبح صرخة : سوف يحيا العمر
مطرودا إلى البيداء أو فى السجن متهماً
والذي يصبح رقما ، سوف يبقى فى حساب
ولاة الأمر .. رقماً ..
ويقال :
أن من قانون ذلك الزمن القادم من جوف
الظلام - يسأل الأطفال فى سن الفطام -
وعلى قدر الإجابة ..
يدرج الإنسان فى الدفتر إما :
رقما طيب السيرة - قنًا للنظام ..
أو ... يصدر القاضي قرار الإتهام ..
(ويصير القتل فى أقرب فرصة !)

صــــلاة ..

تقدمة أنت وقربان ، يتعزى بك قلب
الفقراء ، ويبعث من جرحك - لبنان.

فاخرج من رحم الواقع وارحل ..
فى وهج الأسطورة
ورماد الأحزان ..

○

فتوى

يا أبناء الجيل المطعون : تعالوا كي ترثوا
التركة واللعنة والأشلاء ..
من يرث البيت ..
يباركه الرب ويحميه الأسطول السادس ..
من يرث المال ..
ستدفعه الريح الطيبة إلى جزر الوعد الغربية ..
وستحميه من الغوغاء أسود الردع العربية ..
لكن ،،
من منكم يرث العهد عن القديس ..
من يحمل معنا عبء الأيام السوداء
سيشاركنا إكليل الشوك ،
وسيعرف معنا طعم الصوم الزهد ،
وطعم الصوم الجوع ..
قد يقتل في الخندق معنا ، أو يغتال كوالده في
قاعات المؤتمرات الرسمية ..
لكن .. لن يصبح رقما ..
لن يهزمه الموت القادم من عمق الليل ..
وستحمله أغنيات الأطفال
إلى شطآن الحرية

○

رسالة الحسين الأخيرة

(الى جيش الأنصار وشعب الجيره)

لم ترتعد فرائصك على أبواب الكوفة
والموت مصير جميع الأحياء ؟
هل أصبح كبدك من عطشٍ
يا من شاركت ذئاب الصحراء رغيف الجوع
ودمرت على أبواب المدن البيضاء
قراصنة البحر
وأعطيت الدنيا حلما وأغان زرقاء ؟

لمَ تغمض عينيك وقد حل أوان الرؤيا
لمَ ينعقد لسانك حين يكون القول الفصل
لم تتخشب ساقاك إذا إنشق الدرب
لم تتمنى الموت ولا تسمع بوق الحرب ؟
.. أصرت سرايا أنت ؟
أم أنى خدعتنى رسل الأنصار
وخذلتنى الشورى
لم أتبين أنك مومياء تركت مهملة
فى أروقة التاريخ ؟!

يا شعب الأثواب الفضفاضة
والقول الحمال الأوجه
إسمعنى ..
اعرف أنى بك سأموت

وأنك سوف تكفننى حتى يوم الدين
بآهات الحزن الحرّى
وستبعثنى لما تعوزك الذكرى
شاكرا لله منان العطايا
إذ لأنات السبايا -
لدعاء الأمَة الأمَة التى فخرا على
الناس اصطفاها يستجيب
تأكل الخبز وماء اللفت والجعضيض والوهم المخلل
وتغنى لابنة السلطان يوم العرس تدعو
أن يديم الله نعمته على طول السنين
آه ..
يا شعبا تخطته العصور
وتناسته المجاعة
غض عنه الطرف اعصار الإبادة
حين عافته المواقيت التى تلهب فجرا
إذ غزت أحلامه الترك وخصيان أمية
آه ..
أعرف .. عن نفسى
لا أعرف عنك كثيرا !!
لكن العصافير تهاجر أبدا
ومياه النهر سترحل لن تعرف قبرى !

هاهم الغازون يغشون القرى من كل فج
تهرس الخيل ضلوع المتعبين
فتناجى أولياء الله
كى ترفع عن أرض النبيين البلايا
وتصلى كى يصون الرب أعراض الولايا

وترد الباب فى قلق وتدعو
أن يظل الرزق يأتى من كفوف الفاتحين ؟
بعدها ،
تمضى إلى الأسواق موفور البراءة
كي تسل اللقمة المسمومة الأطراف من عمق المباءة
آه ... ياشعبا هو الجلاد يلهو الضحية !!

يلهج الأعداء فوق العرش باسمك
إذ يبشر موكب العملاء أزواجا وزوجات
بجنات النعيم
ويثبت تجار الأرض قوائم منضدة البيع
على كتفيك
وأنت تصدق ، أن النصر مؤكد
فيبيعك نخاسو عصر الدينار الأموى
لأفاقى انظمة البترول العثمانية
فتصدق أكثر
أن الفرج قريب
اقرب من حد الخنجر
وأن الله يبدل ما بين صباح وعشية !

يا شعبا ولد قديما فى لهب البرية
وتفجر من قلب الصخر
فأنبته المطر الأسطورى على شطآن الجوع
والآن يجهز كالأسماك البحرية
كى يغرق فى وحل المدن المنتهكة والبارات الملكية
جلفا ،
لم يفهم قانون اللعبة

غفلا
لم يلمس لب الأشياء
بريئا
لا يعلم ما يجمع (أولاد القحبة)
حول موائد أشلاء بنات فلسطين
وأبناء العمال
تحت الإكليل الأمريكى المشرق فوق جبين
رؤوس الأموال !!

يا شعب الذاكرة الاسفنجية
والذهن الغائب فى وحل التاريخ
أولا تعرف حقا ما يجمع خلف مقاصير
القمة ، قفاز البوكر والعمة ؟!
هذا الزنديق المتدثر بثياب الزهد
وتلك الغانية الغافية على صدر الدولة
تطلب أغلى جوهرة فى تاج دمشق
لقاء الليلة أو بعض الليلة ؟
والكافر هذا من هيأ حاضرة الملك لكي
يفسق فيها من أجل المصلحة العليا حتى
يعلن بوق المعركة السلمية ؟
وذكير الضفدع
ذاك النقاق المتخصص فى تاريخ عواهر
طهران ، ويحاضر فى تاريخ صلاح الدين ،
ويضع الخطط لتحرير القدس وتوعية
الطبقات الشعبية ؟
والخنزير البيتى المنتفخ الوجنة هذا
من يفخر أن الأحداث تسير وتمضى

قدما للمجد بفضل مشورته الثورية !
وعبيط القرية هذا
أحذق من يتفكه ليسلى المجلس لغوا
بيلاغته الموسوعية
والمحترف الجعجاع سليل الطبالين الزمارين
الأول بقصر يزيد
والدبور الطنان العارف بالله
وكيل الفنانين وحارس كتاب السلف الصالح
وصبى عوالم درب الفرعون الليلى
وتاجر بيض الطاووس
وحارس ابواب الميناء الحر
ومعلم خصيان الليل أصول الإمتاع
بدائرة القصر الملكى
وعكرمة الفحل صديق النسوة ، ناطور
الأمن القومى الممسك بلجام
الدولة موصولا بلجام الذعر الشعبى
وحاشد زعران السوق لتهتف فى الأعياد الرسمية
أو لا تدرك حقا ما ألف بين قلوبهمو
يا شعب الأقوال المأثورة
والفعل الحمّال الأوجه ؟

أعرف أنى بك سأموت
وأنك سوف تكفننى حتى يوم الدين
بآهات الحزن الحرى
وستبعثنى لما تعوزك الذكرى
لكن الطير يهاجر مرتعبا
وتفيض مياه النهر

ولن تتعرف أمطار الصحراء على قبرى
فباسمى حدثك الأعداء
وتخلى عنى رسل الأنصار
وخذلتنى الشورى
آه ..
إنك لم تعرف بعد
ولم تدرك
معنى عجزك قدام النهم الكلبى
ولم تفهم عجزى
فى تيه الشعر الثورى
ياشعب الشهر الأول من كل الأعوام
يا شعبى
أموت وأهبك عمرى
أكثر من مرة
يأسا أو أملا
أهبك قلبى قلمى ابنائى
وقصائد شعرى ودمائى
لكن .. لاتتركهم يفترسونك فى صمت
كفقير أعزل فى السجن الحربىّ !!

صمت الفقراء

حل أوان الجذب الشعري
فطوبى للجهّال !
آن أوان البيع الوطني
فطوبى للخونة
بشرى لرجال الأعمال .!

أقبل يا رأس المال ..
نحن سلاطين الأرجيلة والغليون
عمامتنا أمويَة
وجوارينا من نسل الفرعون
وموسيقانا تركيَة
وأغانينا لدواعي الأمن القوميَ - سوقية

نكره أن نتحدث إلا عن أنفسنا
فالجاهل من ينكر نفسه
والحاذق من يعرف أن صفاء الذهن
بتخليد الذكر كفيل
والقول الرسمَي حريَ بالتسجيل
فمن يعرف عناَ أكثر منا ؟

العصر تناوشه عاصفة التضليل .. ولكنا ..
نعرف كيف نسوس الأمر برفق دمويَ

وكيف نحاور كلَ أباطرة الأرض
ونصادقَ أرباب المال وأصحاب الحيل الدولية
وكيف نسوق رعاع الناس إلى الحرب تغنيَ
وتموت
وللسلم تغنيَ .. وتموت
أو نجمعها في الساحات الشعبيَة لتغنيَ ايضا
وتموت
فنحن أسود الحرب الورقية
تأسرنا دقات طبول العسكر
تسكرنا موسيقى أحذية الجند علىالأحجار
فنصنع من همسات الرعب الشعبيَ أهازيجا
للأبطال ..!

أقبل يا رأس المال ..
نحن دهاقنة الكلمات المأثورة
نصمد في الأيام المنهزمة
نصعد في الأيام المنصورة ..
نتقن رصف الكلمات
وتنسيق الأبيات الشعرية والآيات ..
ونحسن تلفيق التهم القاتلة
ونفخ القرَب الهائلة
وتزوير الأخبار
وتسريب أحاديث الغرف الملكية والأسرار
لنخلب لب البسطاء ننميَ الروح الوطنية
فنبيع الإيمان إلى الكفار

ونصنع أصناما للكهان
نجدل من جهل موالينا إكليل الغار
نبيع الحلم الوردي لأبناء العمال
فنحن – ومازلنا – مارسنا قبل تولّينا همّ الحكم
أفانين التجار ..

أقبل يا رأس المال ..!
نحن ملوك البورصة فانتهز الفرصة
إن الصبر محال ..
هذي آخر منعطفات التاريخ ..
وآخر ما في الجعبة – من أفعال ..
مهدنا الأرض
حرثنا البحر ..
وكسّرنا وهم العجز الطبقيّ ..
لعبنا بالبيض
مشينا فوق الماء
أكلنا النار
أبحنا قتل الشعراء .. ولكن
لا تدري نفس الوالي ماذا تحمل خاتمة الليل إلى القصر
ولا كيف ستنطق صامتة الريح
ولا ماذا تضمر خافية الأنباء ..
ولا ماذا تستر أردية الفقراء .. ولا ..
ماذا يخفي هذا النهر !!
فمازال الموج يجيء من المجهول ويمضي للمجهول
يحمل جثثا للبحر مكفنة في أردية ملكية ..
ويعود صموتا .. ليدمدم في خبث أغنيات للأطفال .!

أقبل يا رأس المال .!

من يحكم مصر فقد حكم العالم
من يربح مصر فقد ربح الدنيا
من يأخذ مصر
فقد أخذ بناصية العرب وأطفأ نيران الثوار ..

أقبل يا رأس المال .!
الشعب أمير وفقير
لا ينطق شعراً أو نثرا
وأقل قليل من كرم السادة يرضيه
والكَلِم الطيب يكفيه ..
الشعب بسيط .. ما أطيب قلبه
أبهة مواكبنا تسلب لبّه
لا يشكو بردا أو حرا ..
نلبس .. يدفأ
نأكل .. يشبع
يعطي لا يمنع .. لا يتمنّع ..
لا يطمع ..
حتى فيما .. طيبة أنفسنا .. تعطيه
فهو المؤمن أن الرب بآخرة الدنيا سيعاقبنا
ويجازيه .!

اقبل يا راس المال ..
بل أسرع يا رأس المال ..

فعيون السوقة أرهقها الصمت ..
وصمت الفقراء كريه ..
لم نقطع بعد الألسنة .. ولا كلمة ..
لم نحرق بعد الأحداق
ولا رفة عين ..
لم نكسر بعد الأيدي ..
لكن الأيدى لا تبدى حركة ..
صمت الفقراء كريه ومريب
نعرف ان الألسن تهمس .. تعرف
نعرف أن الأعين تنظر
تتلصَص كي تعرف .. نعرف
فالأرصفة تموج وللعامة في الطرقات ضجيج
ولصوت الطفل الجائع فى الليل وجيب ..
نعرف ..
وببيت الشهداء المغدورين نحيب ..
نعرف ..
لكن – الصمت مريب .. ورهيب ..
نوقن معه أن غدا سيكون قتال ..

أنقذنا يا رأس المال ..
انقذنا ..
يا رأس المال ...
فما زال .. العوادَ يغنيَ
والشاعر ينسج من صمت الفقراء
حبال المشنقة ..
ولحن الموال ..!

رسالة إلى السفاح شارون

يا أيها الرجل الكريه ..
احشد جنودك واتخذ وضع القتال ..
يتربص الأطفال عند مداخل المدن المباحة
وتسابق الأرحام ريح الموت
كى تلد الضحايا ..
اخرج لهم بخيول نارك
كى تؤكد أنك الحر - انتحارك باختيارك..
جهز الآلات
وامتشق الأباتشى والنيازك ..
كل أجهزة التخابر
كل أنظمة العساكر والبنوك لكم متاحة ..
من يوم كنت حصان (صابرا) ..
صاحب الثغرة -
صياد الغزالة ..
اطلب الطير المحال - المستحيل
بعد المعارك لن تجد غير القصائد -
أغنيات المهد -
موال العتابا فى انتظارك
لن تجد إلا سياج الورد يزهر ..
فوق أسوار الخليل
بأمسيات المتعبين ..
لؤلؤ الوطن الذى نولد فيه ..
يا أيها الرجل الكريه..

رتل من الأسفار ما يوحى بيوم القارعة
حث جند الرب ذكرهم بخاتمة الوصايا ..
حقت الرؤيا من النيل إلى شط الفرات ..
لك كل ما فى حوزة الأعداء من قمح ..
وتين وصبايا
شفيت (راحيل) من أحزانها الأولى وأضناها الحنين ..
اخرج لهم
أنت الذى وعدته آلهة الجنود الانتصار
افرض على الأرض
على المهد - المواويل - النخيل
افرض على النيل الحصار ..
أحكم على كتب المدارس -
والفوانيس - وأقلام الرصاص -
وأوانىَ الفخار لانحة التجول ..
بعد المعارك لن تجد غير الأغانى -
والأناشيد العصية - والشراشف -
لعبة الأطفال - طاولة العشاء العائلى -
شرائط الفتيات -
لن تجد إلا سلال الخبز والزيتون تقبع
فى انتظار
لن تجد غير الصغار -
خلف أكوام الحجارة
لؤلؤ الوطن الذى نسكن فيه
يا أيها الرجل الكريه ..

ناشد الفارين أن يبقوا
ومن هربوا بليل أن يعودوا
أبح لجندك ساحة الأقصى أستبح كل البيادر
هذا أوان القطف
وقت القصف فاشتدى زيم
اضرب بعرض حوائط المبكى اتفاق الكامب
هراء الضعف فى (أوسلو)
وصايا مجلس الأمن وأوهام (سياتل) ..
انتهت مع ليلة العاشر من سبتمبر الماضى .. رؤى العهد القديم -
وحدك السيف المقاتل ..
اهرس بأحذية العساكر دس على كل القيم
للصبر حدّ
بلغ السيل الزبى
تخرج النسوة مازلن إلى السوق يلدن على الحواجز
ويرددن الأغانى ..
وتزغرد الفتيات فرحاً بالجنازات ..
تنتفض الحوارى فرحاً بالشمس واليوم الجديد
وتخضب الأم كفوف طفلتها بحنا -
من دم الابن الشهيد
يذهب الأطفال مازالوا لأنقاض المدارس
ويحيون العلم ..
يخرج النجار والحداد للورشة
والفلاح للحقل توافيه المواسم
تنبت الأشجار ثانية وثالثة وينهمر المطر ..

اخرج لهم بالموت ..
اعكس دورة الأفلاك .. أمطرهم جحيماً يستعر
لاتبق شيئاً .. لاتذر
الضعف مشنقة -
الصبر مشنقة -
الأمن مشنقة -
ومشنقة سيجد لها الكلام
فاحذر .. هو النزع الأخير
يفوح من جثث البنات ينن فى لحم الضحايا - ينفجر ..
ما بعده إلا الخسارة .. والهزائم
فاهنأ بما أعطيت من سلم
وحاول إن بشمت من الغنائم أن تنام ..
مالنا إلا الحجارة ..
لؤلؤ الوطن الذى يولد فينا ..
كلما نقتل فيه ..
يا أيها الرجل الكريه

تخاريف ليلية

○ نحن فى زمن الخرافات الالكترونية
والا ما الذى يجعل الفيلسوف العالم
يفشى أسماء رفاقه فى الخلية السرية
ولا يفكر فى شد سحاب بنطاله المبتل
فى كل مرة يفاجئه سلس أفكاره اللعين
وذكرياته المشوشة ..

○

○ زارنى أبى فى النوم الليلة الماضية
عاتبنى غاضباً
كيف تركتهم يسقطون (ميت سلسيل)
من خريطة الوطن ..
أكدت له أننى مازلت أحبَه
وافتقد عنجريب أمه (ست العزام علام ...)
وأتوق لساحة أبو الرَايات
التى لم تعد ملعبا للأطفال
وأشتاق للمس شعر البنت (مديحة)
الأكرت بما يكفى لأن أظل ثوريا ..
أحن إلى خبز أمى ..



○ ليس (سعدى يوسف) لكنه العراق
ليس (القذافى)
لكنه الجهل الذى مازالت تجتره
النوق العصافير
منذ لم تعد العطايا مبررا للقوافى
فالنفط
لا يمكنه ترطيب نقير بذرة الفول
ولا يزيل دم طفل قتيل

○

○ إمرأة تبيع الخضار
على رصيف المدينة التى لا تحترم الخضرة
تريد أن تنقى الحندقوق من كرات دمى
لكنها موقنة أن ابنتى ستقتلها
لو شمت رائحة كفيها الخشنتين ..
على طرف ملابسى الداخلية ..
ما الذى يبقى لى من كل هذه الألوان
سوى قصيدة تخجل أن تكتمل
وطعم أقراص الفيتامينات المغشوشة ..

○ أصبحت المبادئ والأفكار فى عصرنا
كالسجائر (الملغمة)
يشعلها صاحب المزاج ويدخنها حتى (ينشكح)
ثم يلقى بها إلى جامعى الأعقاب فى معلمة !

○

... عرفت أنك

إلى خالد محيى الدين

اعرف أنهم أبعدوك
من المجلس (الثورى)
كي لا يسمح للبنفسج
بالإحتجاج
وأعرف
أنك حين بكيت
على شاطئ البحيرة الثلجيَة
ذات مساء
كنت تفكر في أحزان
ترعة تجف فى الشتاء
ولا تجد الفرصة
فى المواسم
للفرحة أو للإبتهاج
لأن مشنقة
يمزَق ظلَها ظهر الحقول
تعمدَتك فى الخفاء -
....
لستَ فلاحاً ولم تكن.
كفك لم تجرَب خشونة خشب الفأس
لم يستنشق كعبك عبق الطمىَ الصيفىَ
لم يجرح كتفيك

عنق (البشت) العفنْ
الخشن
لكن قلبك لم يذق ابدا خبز الحرام
أو زبدة الخراج ..
...
أعرفك لم تلوثْ ماء النهر
لم تمارس عوسجة القهر
لم تخالس تبجح الازدواج
لم تغلق نافذة سجين
في وجه القمر ..
لم تطفئْ في عتمة
ليلِ عاشق
سراج .!
...
أعرف ما يكفي لكي أحب سيرتك
وما يكفي لأعاود الغناء في ساحتك
واستعيذ باسمك
من فجاجة المنافقين
ومن لجاجة الغباء
وأتطهر بابتسامة اكتفائك
من رجس سذاجة الرؤيا
...
لست عاملاً .. ولم تكن
لم تجهد ساعديك
مرارة الغضَب ..

لم تقعدك عاجزاً عن الرغيف
سطوة الشقاء
لكن روحك التي عرفت
ظللّت في القيظ
عمال النسيج المضربين ..
وزلزلت
بالشعر
عنجَهة الغاصبين ..
ورطّبت بالماء المقدس
حلق العائدين من الجحيم -
فى يونيو ..
رشرشت عطراً
وزهراً وندى
فوق قبور الشهداء -
...
أعرفك لم تسرق
ولم تأكل حراماً
لذا أيقنت .. أنهم فقدوا براءتهم
غداة نفوك من قلعتهم
إلى سوق اليتامى ..
فاغتسلت من الدماء
صرت فلاحا
كما ولدت نساء الأرض
فلاحين أو أجراء

أو تعساء أو شعراء
للنيل الحزين
...
وعرفت أنك ..
عرفت أنى
عرفت سرك
- أن حبك فى قلوب الناس أينع ..
يوم عدت إلى ضفاف النهر
من جدب المعسكر
فانتشى زهر البنفسج - فى ابتهاج
رافضا ذل التغاضى والولاء
ناشراً فىالكون عطر الرَفض -
وهج الإحتجاج ..!

٢٠ - ٢١/١١/٢٠٠٥

●

نفس من الشعر الحشيش ! !

يرحل الشعر لساحة الشهداء غُصّت بالغناء
فتعثرت خطب العزاء
أسلمت تاريخنا الآتى لألحان البكاء
يسقط الدمع شحيحا كالمطر
ترتبك المشاعر تبعث الأحزان من إحن دفينة
ترتجف الشوارع تحت سنابك الخيل القديمة
تخلى العساكر ساحة القصر العقيمة
كى تبارك موكب السيارة المفخخة الفخيمة
وغيلة تستيقظ الخناجر المنقبة والجرائد البكماء
ها نحن ثانية نغادر أرضنا
نفارق جرحنا
فى ساحة التاريخ ندفنه لينساه الرعاة
فى صمت حقل النفط
فى جبهة الزعماء أبطال انقلابات زمان القحط
والحقب الجهولة

أنا لا أغنى يافتى الأشعار إنى أبكم
أنزف الكلمات من ثقب الرصاصات القديمة
أعيد إنتاج الأساطير القديمة
لا صفح ، لا غفران قلبى مفعمُ
عادت تحاصرنى رياح الغل والكره القديمة !

من لى بمن يتذكر الأسماء ينقذنى ويخفينى ..
عن سحنة الجلاد فى سرداب أنظمة العرب
المتقنون ذرائع القتل القديمة
العارفون طرائق الغدر القديمة
المبدعون ذرائع القهر القديمة
وكأنها زمر قديمة أنجبت زمرا عقيمة

من لى بمن يتذكر الأسماء ..
منذ ابن المقفع والحسين ..
حتى ساحة الموت الحديث ..
للحلو فرج الله وعثمان ومتولى وفهد ولويس
الف حرف انكرتهم نشرة الأنباء
إثر تواطؤ الزعماء
أن يرث الرئيس مناقب الخلفاء
فيظل يرعى فى بهاء الغابرين
جثث الأحياء من بقر ومن بشر ومن شعراء ..
حتى يحين قيام قتلانا العصىَ
يحل لقاءهم بمواكب الفقراء..
فى ساحة النصر - المحال
وليس فى (غرز) الهزيمة !!

●

«هاكم اقرأوا كتابيا»

(... هو السجن حيث تموت الأغاني .. أغني ...)

التقطتها ذاكرة (فؤاد حداد) العبقرية من احدى قصائد (سجن٧٧) ليذكرني بها في اهدائه لي أحد دواوينه بعد عودتي من بيروت ٨٢.

اكتشف (فؤاد حداد) سر قصائدي بالفصحى انا الذي صنعت بيدي العاريتين مكانتي في ساحة شعر (العامية الفصحى) حسب التعبير الذي صدرت به نشرتي الشعرية التي تصدر منذ سبع سنوات و مازالت: (شمروخ الأراجوز).

لقد كتبت الشعر بالفصحى في البداية متأثرا بقصائد الشعراء الرومانسيين وانا أخوض تجارب الصبا مع الحب و الحياة طموحا الى تغير العالم للأفضل والأعدل متماهيا مع الابداع الشعري الشعبي.

وان كنت قد حسمت مسار إبداعي الشعري مع شعر العامية فلم ابتعد عن بحار الفصحى، اذ كان الابداع بالفصحى يتملكني في السجن و في الغربة و المنفى.

وبالرغم من التزام معظم النقاد الرسميين بالمشاركة في تجاهل و محاصرة إبداعي الشعري عبثا، فارتمائي في أحضان ابناء شعبي و إصراري و احيانا (وقاحتي و خرابيشي) انقذت اشعاري من الحصار.

لقد وجدت أشعاري بالفصحى طريقها إلى النور على صفحات أهم الصحف والمجلات في كل البلاد العربية من المغرب إلى الكويت و من بيروت إلى عدن (الاشتراكية) و حتى داخل الأرض المحتلة.

مع محاولاتي لزرعها في حديقة الشعر المصرية - كانت قصيدة (أحزان ناصرية) أول مطبوع جماهيري (ماستر) في نوبة الصحيان التي واكبتها ظاهرة الماستر في السبعينيات.. كذلك قصيدة (ليلى العامرية) التي طبعت يدويا على ورق رخيص و(قصائد غير شخصية) ثم قصيدة (جريدة حائط عن اغتيال كمال جنبلاط) و محاولات أخرى كثيرة لنشرات كنت أصممها وأطبعها وأوزعها بنفسي للخروج من حصار الأجهزة و تواطؤ النقاد.

من هنا يبدو هذا الدفتر الذي يضم ست دواوين وكأنها المرة الأولى التي أقدم فيها إبداعي الفصيح في مصر بعد أن فاتت فرصة إصداره في دواوين منفردة ليأخذ طريقه الى قلوب أبناء شعبي الذين احتضنوا ابداعي بالعامية الفصحى طامحا ان يحتمي بنور مشاعرهم رغم أنف الإظلام و التجاهل والتحيز.

عيد عبد الباقي